مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى	الأستاذ أبو الفيض المنوفى
« عبد الحليم محمود	« عبد المنصف عبد الفتاح
« مصطفى كمال وصفى	« محمد عيد الشافعى
الأستاذ أبو الوفا التفتازانى	« حسنى طه شكيبان
« محمد الحافظ التيجانى	« محمود محمد عماره
« محمد محمود بحيح	« أحمد عوض الله
« محمود شلبى	« عبد الرحمن سلامه العطار
	« محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف

أخبار صوفية ، قصص صوفى

العدد السابع — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تلفون ٥١٣٩٣

العدد السابع «السنة الثانية» أول ديسمبر سنة ١٩٥٩م الموافق غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة التصوف والصوفية في العالم الإسلامي

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

يطالع القارىء في هذا العدد من مجلة « الإسلام والتصوف » حديثا رائعاً للدكتور محمد مكين ، من علماء « سيلان » ومفكريها ، ورئيس الجمعية الإسلامية بجامعة لندن ، عن رسالته التي أعدها لهذه الجامعة وموضوعها — الطريقة الشاذلية وأثرها في تطوير المجتمع الإسلامي وعاداته — والدور الذي قامت به هذه الطريقة الصوفية الكبيرة في مكافحة الاستعمار الأوربي ، في الشمال الإفريقي .

ويلقي الدكتور مكين في حديثه الممتع شعاعا على مكانة التصوف في « سيلان » وأثره في حياتها فيقول : « إن كل مسلم هناك ينسب إلى طريقة صوفية ، ليستنير بمنهجها الثقافي ويتزود بزادها الروحي ، ومدارس سيلان تجعل التربية الصوفية الأخلاقية أساسا

فى مناهجها العلمية كافة ، ولهذا فالشباب الإسلامى هناك فى عصمة من كل تطرف فكرى ، أو نزق إلحادى ، أو ضلال مادى .

ثم يقول سيادته : « إن الإسلام انتشر فى آسيا بفضل الدعاة الهداة من رجالات التصوف ، وإن الثقافة الصوفية ، هى روح الإسلام ومادته ، وهى التى تكون الشخصية الإسلامية وتعمق فيها المعانى المثالية العالية وإن مستقبل الإسلام وغده ، يتوقف على هذا الروح الصوفى القوى الملهم الذى يملك وحده ، أن يشيع القوة والحياة فى المجتمعات الإسلامية ، وأن يعد الخطوط العريضة لنهضة إسلامية عالمية

وفى العدد الماضى من هذه المجلة ، نشرنا حديثا للمجاهد الإيرانى محمد باقر الحجازى صاحب جريدة « الوظيفة » اليومية بطهران ، وقد أبان سيادته فى حديثه عن حقائق لها دلالتها الكبرى على مكانة التصوف وأثره فى الحياة الإسلامية العالمية :

يقول الأستاذ الباقر : إن الطرق الصوفية تهيمن هيمنة كاملة على الحياة الدينية فى ايران ، وأن الكثرة الغالبة من رجال السياسة والأدب والاقتصاد هم من رجال الطرق الصوفية ، وأن رئيس وزراء ايران من أبناء الطرق الصوفية ، وأن عمداء الكليات وأساتذتها من أصحاب المناهج الصوفية فى التربية والتعليم ، فطابع الثقافة فى ايران هو طابع صوفى خالص .

والأستاذ أبو الحسن الندوى ، عالم باكستان ، يقول فى مذكراته :

« إن كل عالم إسلامى فى القارة الهندية لا يسمح له بالتحدث فى المحافل الدينية ، إلا بعد أن يجيزه شيخ صوفى ويسمح له .

فالمسلمون الهنود لا يمنحون قلوبهم وتقديرهم وأجلالهم وثقتهم إلا لعلماء التصوف ، ورجال التصوف .

وقد تحدث سيادة الأستاذ صلاح الدين السلجوقى ، سفير أفغانستان بالقاهرة ، والعالم الفيلسوف الكبير ، فقال : « إن رجال الطرق الصوفية فى أفغانستان ، هم القوة الموجهة لحياتها الروحية والثقافية ، وأنهم فى المحافل لا ينبغى لأحد أن يتقدم عليهم ، إجلالا لمكانتهم ، وتقديرا لرسالتهم .

ويقول المستشرق — لين — فى كتابه « شمائل المصريين وعاداتهم » : إن التصوف أوجد فى الحياة الإسلامية

ثلاثة مبادىء ، لها أكبر الأثر فى تشكيل الشخصية الإسلامية الروحية والخلقية .

وأول هذه المبادىء ، حب الله وحب رسوله ، حبا يجعل قلب الصوفى متعلقا أبدا بهما ، ومن هذا الحب نشأت تلك الصلابة الإسلامية التى لا تتزلزل ولا تنال منها الأحداث .

ثم حب الأولياء ، حبا يجعلهم نماذج عالية لا تفارق خيال المسلم ، ولا تبتعد عن وجدانه ، بل هى تمده دائما بالبركة والثقة والأمل الباسم الحى

ثم المنهج الصوفى فى التربية ، وهو يعد المسلم للمحراب كما يعده للجهاد ، بما يفرضه عليه ، من زهد وتقشف وترفع وصلابة ، وما يفيض عليه من مثاليات وأخلاق ومبادىء سامية .

تلك هى مكانة التصوف والصوفية فى العالم الإسلامى ، يحدثنا عنهـــا مفكرون من الغرب والشرق .

وهى مكانة تلقى عليهم واجبات وتبعات فهم سدنة المحراب الروحى ، وهم أئمة المنهج الإيجابى ، وهم أساتذة التربية الإسلامية وفلاسفتها .

وهم الذين يشكلون أخلاق المجتمع ويصنعون عاداته ، كما يشكلون الشخصية الإسلامية ويصنعون وجهها ومثالياتها وأهدافها ، بفضل ما لهم فى الوجدان من إجلال ، وفى القلوب من تقدير ، وفى الحياة من مكانة .

إن تلك القوى الصوفية الروحية قاعدة قوية لوحدة العالم الإسلامى وعزته ، إنها قوة صامدة فى وجه كل انحراف ، وقوة صاعدة مساندة لكل نهضة ، وقوة صانعة بناءة للروح والإيمان .

فلنحرص عليها ، ولنؤمن بها ، ولنعمل جميعاً على إصلاحها وتوجيهها حتى تؤتى ثمارها المباركة للعالمين العربى والاسلامى ، فى ظل هذا البعث الموفق القوى . . والله يهدى إلى الحق ، ويرشد إلى سواء السبيل . إنه سبحانه ولى التوفيق .

محمد محمود علوان

وحدة الفكر الاسلامى

هى رسالة الأزهر - والطرق الصوفية

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

استمعت فى قاعة المحاضرات الكبرى ، للجامعة الأزهرية ، إلى محاضرة الصديق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى ، وكان موضوع المحاضرة : « المبادىء الإسلامية للحياة الروحية »

وتحدث الدكتور العالم عن التصوف الإسلامى ، فصعد به إلى ينابيعه الأولى إلى الكتاب والسنة ، وحياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه بشقيها .

لقد كان رسول الله ، وهو يبحث عن الحقيقة الخالدة ، ويتلمس الأنوار الهادية قبل بعثته ، يتحنث فى غار حراء تحنثا صوفيا .

لقد اعتزل الدنيا ، ونأى بنفسه عن حياة قومه ، وارتفع بروحه وبقلبه وبإنسانيته ، عن حياة الأرض ، وماتدفع إليه من هوى ، وماتصطرع فيه من شهوة ، وماتفتات به من حقد وعنف وجاهلية .

واعتكف مع تأملاته ومجاهداته ، يصفى نفسه ويخليها ويحليها ، ويطهر قلبه ويزكيه ، ويعده لحياة الصفاء والنقاء والتطلع إلى السماء .

كان يتأمل ويتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، فيطيل التأمل ، ويطيل التفكر ، فيرى وجه ربه الكريم ، يتجلى مشرقاً مبيناً ، فى آفاق الكون ، مدبرا وصانعا وخالقا ورحيما ، فسبح بحمده ، وتبتل له ، وانقطع إليه ، حتى قالت العرب : « إن محمداً قد عشق ربه » .

ثم أشرقت الأرض بنور ربها ، وتجمع النور فى غار حراء فى الخلوة الصوفية فكان البعث ، وكانت الرسالة .

وجاءت آيات الوحى تترى، تعلم الناس الهدى ،وترشد العالمين صراطا مستقيما

آيات كريمة محكمة ، تحدثت عن الحب الإلهى ؛ والرضاء الربانى ، وعن إلهامات الفجور والتقوى ، وعن تزكية النفس ، وطهارة القلب ، وانفساح الصدر وعن المؤمنين الزاهدين ، الذين عاهدوا الله فوفوا بعهدهم ، وجاهدوا فيه فهداهم سبلهم ، وعلمهم من لدنه علما ، وأفاض عليهم نورا ، واصطفاهم واجتباهم ، وفتح عليهم بركات من السماء والأرض .

كما تحدثت عن مقامات القانتين ، والذاكرين ، والعابدين ، والساجدين ، والمخبتين ، والمحسنين ، والمسبحين بالغدو والآصال ، وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

وفى هذا الجو القرآنى المشرق، كانت حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ترتفع عالية سامقة ، وتقدم للدنيا أصفى وأسمى نموذج بشرى للكمال الإنسانى .

كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، صورة خلقية ، لكافة الكمالات القرآنية ، كان خلقه القرآن ، كما تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها .

وكانت تتمثل فيه العبادات والطاعات والمجاهدات ، النفسية والقلبية والجسدية التى فاضت بها سور القرآن ، ودعت إليها ، وحضت عليها .

وكان فوق هذا كله يقوم الليل حتى تفطرت قدماه ، وحتى لتشفق عليه السيدة عائشة فتقول له « ألا ترفق بنفسك يارسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول صلوات الله عليه . أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا » .

ومن هنا جاء مقام الشكر الصوفى ، كما انبثقت من هذا النموذج الإنسانى الكامل، سائر المقامات الصوفية ، من الزهد والتوكل والصبر والرضا والحب والمعرفة والفناء والمشاهدة .

ومضى الدكتور فى محاضرته ، ليعلن فى مسمع المؤتمر العلمى الأزهرى الذى احتشد فى قاعة المحاضرات الكبرى ، أن التصوف هو جوهر القرآن ، وهو حياة

الرسول ، ورسالة العلماء الاتقياء الأصفياء البررة ، أولى العزمات والوثبات الذين أخذوا ما آتاهم ربهم بتذوق وبقوة .

ثم هاجم فى عنف وبحجة دامغة ، رجال الاستشراق ، ومن سار فى مواكبهم من الباحثين الذين أسرفوا على الحق وعلى العلم ، فادعوا أن الروحانية الصوفية هى أقباس من فلسفة الهند ، وأمشاج من الرهبانية المسيحية ، أو استعارة من غير هذه وتلك من ملل ونحل ، لا يرضى عنها الإسلام ولا التصوف الإسلامى

ورأيت شباب الأزهر ، وعلماء الأزهر ، وأساتذة الأزهر ، وهم يصفقون للدكتور المحاضر ، ويخشعون إجلالا وإعجابا للاستشهادات الصوفية الرائعة التى ساقها من كلمات ، ابن الفارض ، ومحى الدين بن عربى ، ورابعة العدوية ، ورأيتهم وهم يؤمنون مع الدكتور المحاضر برسالة التصوف وبمقامه السامى من المبادىء الإسلامية الأصيلة .

ورأيت فى قاعة المحاضرات الأزهرية ، بداية فجر جديد ، لوحدة الفكر الإسلامى من جديد ، ولتعاون جانبه الروحى القلبى ، مع شقه العلمى العقلى ، لتعود للإسلام من جديد ، أمجاده ومكانته ، مع وحدة تفكيره ورسالته .

إن الدولة الإسلامية التى هيمنت على الدنيا قرونا وأحقابا ، الدولة التى أذلت القياصرة ، وحطمت عروش الأكاسرة ، ومشت مع الشمس تنشر على جبين الدنيا آدابها ورسالتها .

إنما اعتزت بأخلاقها قبل اعتزازها بقوتها ، وانتصرت بمثالياتها وروحها ، قبل أن تنتصر بجيوشها وسيوفها .

إن البنيان الثقافى الإسلامى ، الذى شكل فى التاريخ ، أكبر القوى الفكرية ، وأعظم القوى الروحية ، هو الذى أمد الأمة الإسلامية ، بقواها البناءة الفاتحة المنتصرة عبر التاريخ .

أمدها بزادها الروحى القلبى الصانع لأخلاقها وآدابها المربى لفدائيتها زهدها كما أمدها ببصرها العلمى العقلى ، الذى أعانها على خطوها الحضارى ، وبأسها الحربى .

ثم مشت الفرقة إلى القلوب والعقول ، وانفصم ما بينهما من صلات وعهود ، فوهن العالم الإسلامى ، وانطفأت مصابيحه ، وتمزقت أهدافه ، وانحلت وحدة تفكيره .

تمزق تفكير المسلمين شيعا ، وتبدد أحزابا ، وأخذ كل فريق يتعصب لمنهجه وعلمه ، ويناصب ما سواه العداء والبغضاء ، ونجم قرن الشيطان فأفنى المسلمون قواهم وبددوا حيواتهم ، فى مجادلات ومحاورات ، لا تغنى عن الحق شيئا ، ولا تصنع للقوة درعا أو جناحا .

إن النهضة الإسلامية الكبرى ، التى تلوح نذرها فى الآفاق ، مرتكزة على الوحدة العربية النامية ، لتدعو رجال الفكر الإسلامى ، والروحانية الإسلامية ، أن يراجعوا حسابهم ، وأن يوحدوا أهدافهم .

لقد جاء الإسلام أفقا ومجالا وهدى للإنسانية كافة ، ومن ثم اتسمت تعاليمه بالشمول والإحاطة والانفساح ، لتجد القلوب والعقول البشرية كافة فى ساحتها ورسالتها ، ما يرضى القلب . وما يرضى العقل ، وما يرضى الوجدان والحس ، وما يرضى العلم والبحث .

وكما يقول العلامة ابن القيم : « لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم وتناقشوا ، وتعددت مذاهبهم فى البحث والنظر ، ولكن هذا النقاش فى البحث ، وهذا الخلاف فى المعرفة ، لم يمتد إلى التنابز بالألقاب ، أو تجريح الإيمان » .

لقد كان خلافهم ونقاشهم ، حيوية فى الفكر . وقوة فى العلم ، مع الاحترام والإجلال لحرية الفكر ، وحرية العلم ، ثم واجهوا الدنيا صفا واحدا كالبنيان المرصوص .

لقد جاء التعصب والتنابز ، من الجهل العلمى ، والضيق الفكرى ، واختفاء السماحة الإسلامية المشرقة ، وراء أكداس من عصبيات متزمتة جاهلة .

ومشى هذا التعصب المتزمت الغبى ، على وجه الحياة الإسلامية ، فشوه جمالها ونال من وحدتها ، ومزق قوتها ، وحطم هذه الحرية الواسعة التى هتف بها الإسلام وآمن بها .

إننا اليوم أحوج ما نكون ، إلى أن نلتقى جميعا على مائدة الإسلام ، يلتقى رجال البحث العلمى العقلى ، مع رجال البحث الروحى القلبى ، فكلاهما قوة فى الله وقوة فى المعرفة .

فالعالم الإسلامى فى حاجة إلى مربين روحانيين أخلاقيين ، حاجته إلى علماء متفقهين دارسين مشرعين .

إن الفكر الإسلامى ، بل الفكر الإيمانى العالمى ، تشن عليه اليوم حرب عوان تستهدف جاهلية مادية ، أقسى وأعتى من كل جاهلية عرفها التاريخ .

أمامنا تيارات ملحدة ، ودعوات متحللة ، وصيحات شهوانية صارخة .

وأمامنا جيل عالمى ، يتفلت من عصمة الايمان ، وأمم تنقلب على أعقابها ، وترتد إلى جاهليتها ، فتنبذ عقائدها ، وتجحد خالقها .

إننا فى عصر يدعون فيه إلى ترك الدين باسم العلم المادى ، وترك الأخلاق بدعوى التحرر النفسى !! ؟

إن الايمان اليوم فى مأزق ، فليوحد أبناء العقائد الربانية صفوفهم وتفكيرهم ليدافعوا عن دينهم ، وعن مستقبل الإنسانية والإيمان .

إننا فى عنان ثورة بناءة ، فيجب أن نرتفع إلى مستوى الأحداث ، يجب أن نرسم لنا أفقا ومثلا عليا ايجابية ، ترتكز على الروح ، كما ترتكز على العلم ، وتعتمد على الأخلاق ، كما تعتمد على الفكر .

إننا خير أمة أخرجت للناس ، وهذه الخيرية ليست امتيازا لجنس ، ولا تكريما لقبيل من الناس ، إنها خيرية انبثقت من العقيدة والرسالة ، وقامت على الروح والأخلاق .

إن المنهج الروحى الصوفى ، منهج أصيل فى بنـــاء التربية الإسلامية ، والحياة الإسلامية .

إنه المنهج الذى يجعل القلب حيا دافئا متصلا بالله ورسوله ، متحليا بمثاليات الإسلام وروحه ، إنه منهج العزائم والعزمات .

وإن منهج الأزهر فى العلم والمعرفة وتربية العقول وإعدادها لرسالة فى بنياننا الثقافى الإسلامى لا غنى عنه .

إننا فى حاجة إلى وحدة المنهجين ، وتفاهم بين الرسالتين ، لتنبثق منهما معا قوة إيمانية إيجابية دافعة فى الحقل الإسلامى العربى .

إن النهضة الإسلامية اليوم ، أحوج ما تكون إلى منهج علمى محدد مفصل ، وفى حاجة إلى سند روحى خلقى ، واضح مبين ، وعن هذا وذاك ، سنتحدث فى العدد القـــادم إن شاء الله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

طه عبد الباقى سرور

كلمات
للقطب الرفاعى

- التوحيد وجدان فى القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه .
- كم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس ، وكم أذهبت من دين .
- الصوفى من صفا فلم ير لنفسه على غيره مزية .
- كل الأغيار حجب قاطعة فمن تخلص منها وصل .
- الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ، ويبعـــدك عن المحدثة والبدعة .
- الشيخ إذا نصحك أفهمك ، وإذا قادك دلك ، وإذا أخذك ينهض بك .

صفحات ونفحات

من قصص المحبين الإلهيين

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

لعل أظهر ما يظهر للمتأمل فيما يروى عن الصوفية من أقوال وأحوال وفيما يؤثر عنهم من آثار منظومة ومنثورة ، هو أن الحب الإلهى محور رئيسى تدور عليه هذه الآثار وتصدر عنه تلك الأقوال والأحوال : فنحن لانكاد نقف على حياة صوفى من الصوفية ، ولا على أثر من آثاره ، إلا ونجد الحب الإلهى قد أثر فيه ، ووجه ألفاظه ومعانيه ، وجعل منه شاعرا أو ناثرا يختلف حظ شعره أو نثره من القوة أو الضعف ، ومن الرقة أو العنف ، بمقدار ما سيطر عليه الحب ، وصفا منه القلب . ومن هنا لم تكن آثار الصوفية فى الحب الإلهى آثارا موضوعية يعرضون فيها موضوع الحب الإلهى عرضا مستقلا عن ذوات أنفسهم ، وإنما كان كل اثر منها بمثابة المرآة التى تنعكس على صفحتها حياة صاحبه ، وما لقيه فى سبيل حبه من مشقات وأهوال ، وما لقى به هذه المشقات والأهوال من صبر عليها ورضى بها أو من ضيق بها وتبرم منها

وقد خلف المسلمون الصوفية فى الحب الإلهى آثارا باقية تعد بحق تراثا روحيا رائعا له خطره فى تقويم الحياة الروحية الإسلامية من ناحية ، وله أثره فى قلوب المقبلين عليه والذائقين له من ناحية أخرى . ومن هذا القبيل ما خلفه كل من رابعة العدوية وذى النون المصرى ويحيى بن معاذ الرازى والحارث بن أسد المحاسبى والحسين ابن منصور الحلاج ومحى الدين بن عربى وشرف الدين عمر بن الفارض وكثير غيرهم ممن روت عنهم كتب الطبقات اقوالا ووصفت لهم فى الحب احوالا

وكان لهم فى هذا الحب صفحات ونفحات .

وليس من شك فى أن هذا التراث الروحى الذى خلفه الصوفية المسلمون فى الحب الإلهى هو خير المنابع التى تستقى منها الفلسفة الصوفية الإسلامية وما تنطوى عليه هذه الفلسفة من المعانى النفسية والخلقية والميتافيزيقية وليس من شك أيضا فى أن هذه المعانى كلها إنما تكون أقرب تناولا لها ، وأيسر حصولا عليها ، وأوضح فهما لمقاصد أصحابها منها ومذاهبهم فيها ، إذا كان المرجع أو المراجع فى هذا كله ما ألفه الصوفية من كتب ، وما أنشأه شعراؤهم من دواوين .

على أن التراث الروحى الإسلامى فى الحب الإلهى لا يقف عند حد الكتب المؤلفة والدواوين المنظمة فحسب ، وإنما هو يتجاوز هذه وتلك إلى ما يروى من روايات ، وما يحكى من حكايات ، قد تبدو لأول وهلة يقرؤها فيها القارىء العادى ، وكأنها ضروب من القصص ، وألوان من الأساطير ، وأن ما ورد فيها إنما هو من صنع الخيال ، وأنها بحكم هذا الخيال أقرب ما تكون إلى الخرافة وأبعد ما تكون عن الحقيقة ، والواقع أنها ليست كذلك فى كل ما تشتمل عليه من العناصر ، وما ترمى إليه من المعانى والمنازع .

وها هى ذى كتب التراجم والطبقات قد حفلت بذكر كثير من القصص والحكايات عن المحبين والمحبات ، ووصفت لنا أحوالهم فى الحب الإلهى ، وسجلت أقوالهم التى عبروا بها عن تلك الأحوال ، فإذا هى فى ظاهرها تقص قصة وتحكى حكاية وقد تبدو الصنعة ويغلب الخيال على هذه الحكاية أو تلك القصة ، فإذا هى عند أول عهد القارىء بها كلام لا يكاد يصدقه العقل لما فيه من إسراف ومبالغة وإبعاد فى الخيال . ولكن تدبر هذه القصص والحكايات ، والروية فيما تشتمل عليه كل قصة من معنى وما ترمى إليه كل حكاية من مغزى ، سيكشفان من غير شك عما لهذه القصص والحكايات من خطر وما فيها من غناء : ذلك بأنه ما من قصة أو حكاية إلا وفيها معنى نفسى أو مغزى خلقى ، فضلا عما ينبث فى تضاعيفها من أقوال منثورة أو أبيات منظومة وكل أولئك فى الحقيقة بمثابه المواد

الأولية التى لا بد منها لفهم الحياة الروحية للمحبين الإلهيين ، ولا غنى عنها لمن يريد أن يكون صورة تاريخية متكاملة لنشأة الحب الإلهى وتطوره فى التصوف الإسلامى .

ولكى يتبين ما لهذه القصص من خطر ، وما فى هذه الحكايات من غناء يحسن أن أقف معك عند بعضها ، فلعلك واجدافيها من المعانى الروحية الدقيقة التى خفيت وراء الأساليب القصصية والعبارات الخيالية ، ما يشبع حاجة عقلك ، بقدر ما يرضى رغبة قلبك وذوقك :

فهذه قصة فتى متعبد مع جاريه أحبته وكاتبته ، ولكنه كان يرد عليها بردود تنطوى على تقاه وحبه لله وإيثاره هذا الحب الإلهى على حب الجارية . فقد قص شيخ من أهل العلم قصة ذلك الفتى مع الجارية فقال : كان عندنا فتى متعبد حسن السيرة ، فأحبته جارية من قومه ، وجعلت تكاتم أمرها مخافة العيب ، فمكثت بذلك حينا . فلما بلغ الحب منها أرسلت بكتاب ضمنته هذه الأبيات : —

تطاول كتمانى الهوى فأبادنى ... فأصبحت أشكو ما ألاقى من الوجد
فأصبحت أشكو غصة من جوى الهوى ... أقامت فما تعدو إلى أحد بعدى
فها أنا ذا حرى من الوجد صبة ... كثيرة دمع العين يجرى على خدى

وكان رسول الجارية الذى حمل هذا الكتاب إليه امرأة ، فلما أقبلت عليه المرأة بالكتاب قال لها : ما هذا ؟ قالت : كتاب أرسلنى به إليك إنسان . قال : سميه . قالت : إذا قرأته سميت لك صاحبه . ولكنه رمى بالكتاب إليها وأنكره إنكارا شديدا . فقالت له . ما يمنعك من قراءته . قال : هذا كتاب قد أنكره قلبى . ولكن المرأة لم تزل بالفتى حتى قرأه ، وإذا بالفتى يرفع رأسه إليها ويقول : هذا الذى كنت أحذر وأخاف . ثم دفعه إليها ، فقالت : أماله جواب ؟ قال : تقولين لها : « إنه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى » . قالت : لا غير ؟ قال : فى هذا كفاية . فمضت المرأة إلى الجارية فأخبرتها بما جرى بينها وبين الفتى ، وإذا بالجارية تكتب إليه مرة أخرى فتقول : —

يافارغ القلب من همى ومن فكرى ... ماذا الجفاء فدتك النفس ياوطرى
إن كنت معتصما بالله تخدمه ... فإن تحليلنا فى محكم السور

فلما وصل الكتاب إلى الفتى قال : ما هذا ؟ قالت المرأة : تقرأه . فأبى ، ولكنها لم تزل تتلطف به حتى قرأه ، ثم رمى به إليها . فقالت : أما له جواب ؟ قال : بلى . قالت : ما هو ؟ قال : قولى لها : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » . فسارت المرأة إلى الجارية وأخبرتها بما جرى بينها وبين الفتى ، فإذا هى تكتب إليه مرة ثالثة فتقول :

فرج عن القلب بعض الهم والكرب ... وجد بوصلك والهجران فاجتنب
إنا سألناك أمرا مانريد به ... إلا الصلاح وأن نلقاك عن قرب
فإن أجبت إلى ما قد سألت فقد ... نلت المنى والهوى يا منتهى أربى
وإن كرهت وصالى قلت أكرهه ... وإننى راجع عن ذاك من كثب

فلما جاءت المرأة بالكتاب إلى الفتى ، أخذه وقال لها : إجلسى . وفتح الفتى الكتاب وقرأه عن آخره ، ثم كتب إلى الجارية كتابا كان هذا الشعر آخره :

إنى جعلت همومى ثم أنفاسى ... فى الصدر منى ولم يظهره قرطاسى
ولم أكن شاكيا مابى إلى أحد ... إنى إذن لقليل العلم بالناس
فاستعصمى الله مما قد بليت به ... واستشعرى الصبر عما قلت بالياس
إنى عن الحب فى شغل يؤرقنى ... تذكار ظلمة قبر فيه أرماس
ففيه لى شغل لازلت أذكره ... من السئوال ومن تفريق أحلاس
وليس ينفعنى فيه سوى عملى ... هو المؤانس لى من بين أناسى
فاستكثرى من تقى الرحمن واعتصمى ... ولا تعودى فى شغل عن الناس

فلما قرأت الجارية الكتاب أمسكت وقالت : إنه لقبيح بالحرة المسلمة العارفة مواضع الفتنة كثرة التعرض للفتن . ولم تعاوده .

وهذه قصة يقصها عتبة الغلام فيقول : خرجت من البصرة والأبلة ، فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا ، وإذا أنا بخيمة ، وفى الخيمة جارية عليها جبة صوف لاتباع ولا تشترى ، فدنوت وسلمت فلم ترد السلام ، ثم وليت فسمعتها تقول :

زهد الزاهدون والعابدونا ... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه ... فمضى ليلهم وهم ساهرونا

حيرتهم محبة اللـــــه حتى عـــلم الناس أن فيهم جنونا
هم ألبا ذوو عقول ولكن قد شجـاهم جميع ما يعرفونا

قال عتبة : فدنوت إليها فقلت : لمن الزرع ؟ فقالت : لنا إن سلم . فتركتها وأتيت بعض الأخبية . فأرخت السماء كأفواه القرب . فقلت : والله لآتينها فأنظر قصتها فى هذا المطر ، فإذا أنا بالزرع قد غرق ، وإذا هى قائمة نحوه وهى تقول : والذى أسكر قلبى من طرف سحر بصفى محبة اشتياقك ، إن قلبى ليوقن منك بالرضا . ثم التفتت إلى وقالت : يا هذا ! إنه زرعه فأنبته ، وأقامه فسنبله وركبه ، وأرسل عليه غيثا فسقاه ، واطلع عليه فحفظه ، فلما دنا حصاده أهلكه . ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت: العباد عبادك وأرزاقهم عليك فاصنع ماشئت . فقلت لها : كيف صبرك ؟ قالت : أسكت يا عتبة .

إن إلهى لغـــنى حمـــيد فى كل يوم منه رزق جديد
الحمـــد لله الذى لم يزل يفعل بى أكثر ممـا أريد

قال عتبة : فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجنى .

وهذه قصة يقصها ذو النون المصرى عن زهراء الوالهة فيقول: بينا أنا أطوف فى بعض أودية المقدس سمعت قائلا يقول : ياذا الأيادى التى لا تحصى ، وياذا الجود والبقاء ، متع بصر قلبى بالجولان فى بساتين جبروتك ، واجعل همى متصلا بجود لطفك يا لطيف ، وأعذنى من مسالك المتجبرين بجلالك وبهائك يارءوف ، واجعلنى لك فى الحالات خادما وطالبا ، وكن لى يا منور قلبى ، ويا غاية طلبتى صاحبا . قال ذو النون فتبعت الصوت ، فإذا امرأة كأنها عود محترق عليها درع صوف وخمار شعر أسود قد أضناها الجهد ، وقتلها الكمد ، وذوبها الحب ، فقلت : السلام عليك . قالت : عليك السلام ياذا النون . قلت : كيف عرفت اسمى ولم ترنى ؟ قالت : كشف عن سرى الحبيب ، فرفع عن قلبى حجاب العمى فعرفنى اسمك . فقلت : إرجعى لمناجاتك . فقالت : أسألك ياذا البهاء أن تصرف عنى شر ما أجد ، فقد استوحشت من الحياة . ثم خرت ميتة ، فبقيت متحيرا . فأقبلت عجوز كالوالهة نظرت ثم قالت : الحمد لله الذى أكرمها . ولما سألها ذو النون عمن تكون هذه ، أجابته بقولها : هذه ابنتى زهراء الوالهة منذ عشرين سنة ، توهم الناس أنها مجنونة ، وإنما قتلها الشوق إلى ربها تعالى .

فهذه قصص ثلاث تتصور فى كل منها حياة محب أو محبة ممن ملك عليهم الحب لإلهى نفوسهم وعقولهم ، وتعبر عن طائفة من الدوافع النفسية والمنازع الخلقية والمعانى الذوقية التى تتصل من قريب أو من بعيد بهذا الحب الإلهى : فالتقى والعمل الصالح والاشتغال به ، والتفكر فى الله والاعتصام به وامتلاء القلب بحبه فى القصة الأولى ، والتوكل على الله والإذعان لحكمه وأمره ، والتسليم له والرضا بقضائه وقدره فى القصة الثانية ، وحب الله والشوق إليه والوله فيه ، والتسبيح بحمده على آلائه ونعمائه ، والاستعاذة من المتجبرين بجلاله وبهائه فى القصة الثالثة كل أولئك معان قد انطوت عليها الألفاظ والعبارات التى تألفت منها هذه القصص والتى ينبغى أن نقف عندها ونروى فيها ونستخلص منها ما ينبث فيها من عناصر لها قيمتها فى الإبانة عن سمات الحياة الروحية الإسلامية بصفة عامة وعن مقومات الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى بصفة خاصة .

ومن أجل هذا كان ما يروى من قصص المحبين الإلهيين خليقا بأن نعنى به ، ونقبل على درسه ، ونمحص ألفاظه ومعانيه ، ونتفحص أغراضه وخوافيه ، وليس من شك فى أن من شأن هذا كله أن يعيننا على تفهم ما سطر فى هذا القصص من صفحات ، وتذوق ما يترقرق فى هذه الصفحات من نفحات .

محمد مصطفى حلمى

كلمات
للإمام الشافعى

● أركان المروءة أربعة ، حسن الخلق ، والتواضع ، والسخاء ، ومخالفة النفس .

● خذ من العلم ما ينفعك إذا أقبلت على ربك ، فإن دنياك خيال ، وكلها زوال ، والله يحول الأحوال .

المنهج الاسلامى والمنهج الغربى

فى معرفة ماوراء الطبيعة

للدكتور عبد الحليم محمود

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

البحث وراء الإنسان قديم قدم الإنسان نفسه .

وما من شك أن اليونان ليسوا هم البادئين به .

فكتاب « الفيدا » الهندى كان موجوداً قبل أن تنشأ الفلسفة اليونانية وأبحاث قدماء المصريين فيما وراء الطبيعة كانت موجودة قبل أن تنشأ الفلسفة اليونانية ، ومما يروى فى ذلك أن أفلاطون حضر إلى مصر ، واتصل بكهنة جامعة عين شمس ، وأخذ يدرس معهم مسائل ما وراء الطبيعة.

ويروى بعض المؤرخين للديانات ، مثل الأستاذ « شورا » صاحب كتاب : « كبار الملهمين » .

إن أفلاطون لم يكد يرتفع إلى المستوى الذى بلغته الدراسة بين كهنة جامعة عين شمس ، وكان يود بجذع الأنف ، أن يطيل إقامته بينهم ليصل إلى منتهى المدى الذى بلغته أفهامهم فى الإلهيات ، ولكن ظروفاً سياسية اضطرته إلى مغادرة مصر ،

والمنهج القديم ، سواء فى الهند أو فى مصر ، لم يكن البحث العقلى ، وإنما كان : أستلهام الإشراق .

ورأى القدماء : أن البصيرة ، أو الالهام ، أو المعرفة الوصية ، هى الطريق الموهب إلى اختراق الحجب ورفع النقاب عن عالم ماوراء الطبيعة .

وهذا المنهج يرتكز على الخصوص ، على تصفية تبدأ بالتوبة الصحيحة ، والاتجاه إلى الله تعالى اتجاهاً خالصاً ، وتأخذ فى السمو والترقى ، إلى أن يصبح الشخص أو يكاد ، روحاً

خالصة ، أو قبساً من نور الله تعالى .

وحينئذ تتصل الروح بالملأ الأعلى ، فترى مالا عين رأت ، وتسمع مالا أذن سمعت ، ويخطر على قلبها ما لايخطر على قلوب البشر .

وكان القدماء فى الهند وفى مصر ، يرون أنهم بصدد تجربة مثلها ، فيما وراء الطبيعة ، كمثل التجربة الحيه فى المحسوسات .

وإذا كانت موضوعات المعرفة مختلفة ، فمن الطبيعى أن تختلف مناهج المعرفة ، وأن تتعدد بحسب الموضوعات ، حتى يلائم المنهج الموضوع .

وتطرق منهج البصيرة فى الإلهيات ، من الشرق إلى الفلسفة اليونانية ، فكانت « الأورفية » وكانت « الفيثاغورية » وكانت « الأفلاطونية »

ومن المعروف أن هذه المدارس كانت لها تعاليم خاصة سرية للمريدين ، وهم ذوو الاستعداد البصيرى الخاص من نبهاء التلاميذ وكانت هذه التعاليم تقوم — أول ماتقوم — على تصفية النفس ، وعلى نوع من النسك المؤهل لهذه التصفية .

ولكن الفلسفة اليونانية ، وإن وجد فيها التيار الإشراقى ، فقد وجد بجواره جنباً إلى جنب ، التيار العقلى الذى بدأ بالطبيعيين الأول ، وازدهر كل الازدهار ، على يد أرسطو ، الذى خالف أستاذه ، وحكم العقل فى كل شىء ، وألقى إليه زمام المقاليد .

وانتصر المذهب العقلى انتصاراً باهراً ، حتى طغى على غيره فترة طويلة من الزمن ، حتى جاءت الأفلاطونية الحديثة ، فردت إلى المذهب الإشراقى اعتباره ، على يد أفلاطين المصرى ، الذى يقال : إنه اتصل بالسماء أربع مرات .

وتأرجحت العصور الوسطى الأوروبية بين مذهب أرسطو ومذهب أفلاطون ، وكانت مذبذبة بين هذا وذاك ، فلم تنتج شيئاً ذا قيمة ، لا من الوجهة العقلية ، ولا من الوجهة الإشراقية .

حتى إذا كان البعث ، وكانت النهضة الأوروبية الحديثة ، اتجهت أوروبا اتجاهاً لا لبس فيه ، إلى المنهج العقلى فى الإلهيات .

ولكن هذا المنهج إن أدى إلى شىء ، فإنما يؤدى إلى الاختلاف .

فمن الواضح أن لكل إنسان عقله الخاص ، المتأثر ببيئته وثقافته

وطبيعته الخاصة، وليس أدل على ذلك من هذا الاختلاف والتضارب بين المذاهب الفلسفية العلقية .

وإننا لنجد فى الواقع مذاهب فلسفية عقلية بصدد من نبغوا فى العالم من الفلاسفة .

ومن الملاحظ : أنه لا يخلو رأى من الآراء فى مذهب يخلو من الاعتراض ، ولا يوجد مذهب يخلو من الفجوات ، أو من النقص ، بل لا يوجد مذهب عقلى أو رأى عقلى لا ينقض . سواء فى ذلك المذاهب العقلية القديمة ، والمذاهب العقلية الحديثة، وسواء عزيت هذه المذاهب إلى أرسطو أبى الفلسفة العقلية ، فى القديم أم عزيت إلى ديكارت أبى الفلسفة الحديثة العقلية .

لم تنتج المذاهب العقلية ، إذن ، اتفاقاً فى الإلهيات ، ولم توحد الاختلاف ، بل كانت هى فى نفسها مبعث تفرقة واضطراب وبلبلة ، ثم إنها أدت إلى عكس ما تريد .

فقد كان هدفها الأصيل إثبات عالم ما وراء الطبيعة ، ولكن النتيجة التى أشاعتها فى النفوس ، كانت الشك فى هذا العالم عند كثيرين .

ولقد سخر فولتير بهذا العالم وبهذه الفلسفة سخرية لاذعة ، ولم يكن فولتير أول الساخرين ولا آخرهم، ولقد مثل أناتول فرانس هذه السخرية فى أقوى صورها وسجلها فى مناسبات لا تعد ، ومن قوله :

إن الباحث فيما وراء الطبيعة — وهذا جدير بالتأمل — لا يملك من الخامات اللازمة لتكوين مذهبه الفلسفى إلا ذلك الضرب من صراخ القردة ونباح الكلاب ، الذى هذبت مخارجه ونبراته ، فغدت كلمات وألفاظاً ، وإن ما يسميه هذا العالم بحثاً عميقاً وطريقة عليا للتفكير ، ليس فى الواقع إلا تنسيقاً آلياً تحكمياً لألفاظ كانت فيما مضى ترتفع وسط الغابات البدائية ، فتعبر عن الخوف ، أو الجوع ، أو الحب ، ثم ألبسها الناس شيئاً فشيئاً ، معان مجردة وليس لها من التجريد إلا كونها فقدت حدتها الأولى وأصبحت فاترة لا قوة فيها . لكن لا تراعوا فهذه الصرخات الصغيرة المتتابعة ، التى تتكون منها كتب الفلسفة لن تتمكن بعد أن ضعفت وانطفأت ، من أن تأتى إلينا بمعلومات زائدة عن هذا العالم ، فتجعلنا غير قادرين على الحياة فيه .

ويقول فى موضع آخر :

إن مذهبا كمذهب كانت أو هجل : لا يختلف فى جوهره عن هذه الألعاب من الورق التى تقيمها السيدات، تمضية للوقت وعونا على إزالة سأم الحياة . وتلاحظ هنا أن أنا قول فرنسى يذكر سببا لفشل البحث العقلى . فيما وراء الطبيعة ، غير ما ذكرناه من أسباب ، وهو مشهـــور عند الإشراقيين :

إن عالم ما وراء الطبيعة الذى يبحث بعقله لا يملك الخامات اللازمة لبحثه ؛ إنه لا يستمدها من الحس ، فالحس لا صلة له بعالم ما وراء الطبيعة ولا يستمدها من العقل ، لأن العقل ، لا يعمل إلا مرتكزا على المحسوس ، وإذا جرد العقل من الخامات الأولية — المحسوسات — فإنه لا يقف على قدميه .

فشلت ، إذن ، المذاهب العقلية ، فيما وراء الطبيعة ، وفشلها صارخ ، يدعوا إلى الإشفاق والرثاء :

فهى متضاربة متعارضة ، مختلفة متناقضة ، تبعث الشك أكثر مما تدعو إلى اليقين. ورغم هذا الوضوع البديهى فإن هذه المذاهب لا تزال مستمرة فى منهجها الذى لا يتـــلاءم مع الموضوع .

إن عالم ما وراء الطبيعة غيب ومن الطبيعى أن يوجد له منهج يتلاءم معه ، وهذا المنهج حدده الإسلام ، كما حددته الأديان تحديدا لا لبس فيه :

إن معرفة ماوراء الطبيعة مصدرها الوحى ، والوحى ليس حسا ، وليس تفكيرا عقليا .

والناس كما ترى الأديان ، فريقان فريق شغلته ظروف عالم المادة ، ووسيلة هؤلاء إلى معرفة الإلهيات : إنما هى الخضوع لأهل الحق : للأنبياء والرسل ، لكلمةالله التى تشرح الغامض وتوضح الخفى . أما الفريق الثانى من بنى البشر ، فهم ذوو الحس المرهف والبصيره النفاذة ، الذين سموا بأنفسهم عن أن تكبلها المادة بأغلالهاوقيودها وهؤلاء يبدأون — أول ما يبدأون باتباع تعاليم الوحى المرسل ، ثم يأخذون فى التقوى والاتجاه إلى الله تعالى بكل جوارحهم ، حتى تصفوا نفوسهم وتشف شيئا فشيئا فتأخذ فى الترقى ، وتصل من منزلة روحية إلى منزلة أسمى منها ، حتى تنتهى بتوفيق الله تعالى إلى الاطمئنان التام وترى عالم الغيب رؤية روحية هى أوثق

وآكد من الرؤية البصرية . . .

وبما أنه لابد من البدء بأساس صحيح ، وبما أن هذا الأساس لا يتمثل إلا فى القرآن ، وهو النص الصحيح الذى صانه الله تعالى .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فإن الطريقة المثلى ، بل الطريقة الوحيدة للإطمئنان إلى هذا العالم الغيبى ، إنما تؤسس على القرآن .

والقرآن إذا ذكر الطريقة التجريبية كمنهج لمعرفة الطبيعة ، فإن يذكر الطريقة القلبية ، كمنهج لما وراء الطبيعة

وإذا كان القرآن يعد البصر مسئولا ويعد السمع مسئولا فى الطبيعة ، فإنه يعد القلب مسئولا فيما وراء الطبيعة: « إن السمع والبصر ، « الفؤاد كل أولائك كان عنه مسئولا »

يقول الدكتور إقبال :

ومجال الرياضة المفتوح سبيله للقلب : مجال حقيقى واقعى ، ككل ضرب من ضروب التوربة . وليس فى وصف رياضة القلب بأنها رياضة روحية أو صوفية أو أنها من خوارق الطبيعة ليس فى هذا ما يقلل من شأنها من حيث هى تجربة .

فكل تجربة فى نظر الإنسان البدائى كانت من خوارق الطبيعة ، ولقد أوحت إليه ضرورات الحياة الملحة أن يضع لها تفسيرا تولدت منه بالتدريج « الطبيعة » بالمعنى الذى اصطلحنا عليه لهذا اللفظ

إنها تجربة كالتجربة فى ميدان الطبيعة ، وهى مثلها منتجة ، بيد أن الفرق بين التجربة الإسلامية فى هذا المحيط ، والتجربة الإشرافية البحته : أن التجربة الإسلامية مؤسسة على أساس صحيح شرعى : القرآن .

ومن هنا كان أفلاطون ، يأسف أحيانا على أنه لم يتصل فى المعرفة بطريق أوثق وآكد ، أعنى بطريق الوحى والنبوة ، كما يذكر هو .

وهذه التجربة نظمها صوفية الإسلام تنظيما جديدا ، وأحكموها إحكاما بديعا .

فإلى الشاكين وإلى الحيارى نرسلها خالصة تنسموا الروحانية والتمسوها ففيض الله أوسع من أن تضيق بكم

الطرق العمليـــة للتصوف

بقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى
المستشار المساعد بمجلس الدولة

• من المعلوم أن الايمان تصديق وتسليم واعتقاد . وأنه ينصب على أمور غيبية لاتدركها الحواس . فالله وملائكته وصدق الكتب والرسل من أمور الغيب التى هى محل للايمان ولا تدركها الحواس .

وبسبب أن الايمان لا تدركه الحواس ، فإنه فى الواقع يعتمد على سلامة القلب وحسن استعداده للتسليم والتصديق . ولذلك تستهدف الصوفية تربية القلب على السلامة ، وتنقيته مما يمنع تصديقه وتسليمه .

• ومن المشاهد أن القلب السليم الفطير لا يمتنع عليه التصديق والتسليم أما القلب الذى تعلق بالاهواء والأطماع والشهوات ، فهو محجوب عن الايمان بالله الذى لايحسه ، بالمصالح العملية التى تستغرق حواسه ولذلك فقد كانت أولى الطرق العملية التى يعنى بها التصوف هى تنقية القلب من هذه الحجب ، واخراج ماسوى الله منه .

فإذا تنقى القلب من هذه الحجب وشف من السوى ، عمدت الصوفية إلى توجيه المريد إلى الطريقة السليمة المثلى التى يشق بها طريقه فى الحياة بما يرضى الله . وأرشاده إلى أفضل المثل وأرقاها . ولما كان الانسان بطبيعته محدود عن التجريد والاطلاق، لايفهم المثاليات المجردة والمعنويات المطلقة ، فإن الطريقة العمليه التى تنتهجها الصوفية فى ذلك هى توجيه الناس إلى أسوة محددة ونموذج واضح حتى ينتقلوا من المحسوس إلى المطلق المجرد . وقد اقتضى الدين فى ذلك أن تتخذ رسول الله أسوة حسنة . ومن لم ير رسول الله فلا أقل من أن يبدأ بالاقتداء بمن يقتدى بالرسول ، حتى يستطيع

أن يتدرج من ذلك إلى الاقتداء بالرسول نفسه ، ومن ذلك إلى تعشق المثل العليا فى ذاتها ، وعبادتها لجمالها ، وكمالها على إطلاقها ، وهذه المثل العليا هى الله سبحانه وتعالى . فالله هو مثل المثل « ولله المثل الأعلى » (الآية) فيستقيم له بذلك معرفة الله ومحبته .

والبلوغ إلى هذه الغاية العسيرة يتطلب سياسة خاصة للمريد وما يفلح مع بعض الناس قد لا يفلح مع بعضهم الآخر لاختلاف ظروفهم وطبائعهم ، ولذلك عنت الصوفية بأن يتخير المرشد للمريد ما يناسبه من الطرق العملية ، وبذلك تعددت مناهجها وطرقها ، حتى تلائم مختلف الطبائع والظروف .

هذه هى الأصول الثلاثة التى تنهض عليها الطرق العملية للتصوف وهى ملخصة فيما يلى :

١ — تنقية القلب من الحجب وماسوى الله .

٢ — اتخاذ الاسوة الصالحة للوصول إلى ادراك المثل المجردة .

٣ — تعدد المناهج والطرق بسبب طبائع الناس .

الاصل الأول :

تنقية القلب من الحجب :

من المعلوم أن الحجب ثلاثة (١) الاهواء والشهوات (٢) الاطماع وحب المال (٣) اعجاب الإنسان بنفسه والكبرياء .

فمادام القلب مشغولا بأحد هذه الحجب — وهو لابد كذلك — فإن الطريق إلى الله لا يكون واضحا . ويتجه الفكر والقلب دائما إلى الانحراف نحو هذه الاهداف للنيل منها .

فالقلب فى هذه الحالة يكون كالمنظار المنحرف أو المرآة المنبعجة . لا تظهر المرئيات على حقيقتها . ولذلك فإذا جودل الإنسان فى الله وهو على هذه الحالة لا يلبث أن يجادل بالباطل . ولا ينفك إلى أن ينتهى إلى الكفر بالله لإيمانه بالحجاب الذى يشغله .

ويتعين أولا تحرير القلب من هذه الانحرافات ليبصر طريقه إلى الله واضحا مستقيما ويرى الحق حقا فيتبعه والباطل باطلا فيجتنبه .

ولما كان الإنسان ينفق جهده ووقته وماله فى الغاية التى يعتقدها ، فقد اتفقت كلمة الصوفية إلى أنه يجب

أن يوجه المريد فى بدء حياته إلى التضحية بجهده وماله ووقته فى سبيل الله ، حتى يفهم أن هذا السبيل يساوى ماينفق فيه ؛ وبذلك تزيد قيمته ليتعادل (على الأقل) مع سائر السبل التى اعتاد الإنسان أن يوقف نفسه عليها ،

وطريقتهم فى ذلك أن يكلف بالذكر . والخلوة . واكل الحلال وخدمة الفقراء .

اما الذكر فهو أن يخصص بعض وقته يكرر فيه اسما من اسماء الله حسب مايلقنه المرشد له وقد يكون على انفراد أو فى جماعة . ولكن لابد أن يكون بكثره فى مبدأ الدخول فى الطريق حتى يعمر القلب بذكر الله ، فينقيه ذلك مما يعـــج به من الشوائب والأغيار .

وقد وردت فى القرآن آيات كثيرة عن الذكر وعن ضرورة تكراره فى الغدو والآصال أو بكرة وعشيا أو قياما وقعودا وعلى الجنوب وغير ذلك . وأن ذكر الله أبلغ من الصلاة (التى قد تكون بلا وعى)

● وأما الخلوة فهى أيضا مما ورد فى القرآن إذ كلف الله بعض الأنبياء القيام بها كقول الله لزكريا « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام » وما كان يقوم به الرسول من الخلوة فى حراء . وهى فى الواقع كسر لثورة الحيـاة والانغماس فيها كل حـــين . فهى كالأجازات التى تستجم فيهـا الروح والقلب ليعود إليهما حياتهما وصفاؤهما

● وأما أكل الحـلال وخدمة الفقراء فهى كناية عن النفقة فى سبيل الله . وقد قيل أنه لا سبيل إلى الفتوح والابصار بالطريق إلى الله ما دام الإنسان يطعم من الحرام . ويجب عليه إذا دخل باب التوبة أن يرد المظالم إلى أهلها وما اغتصبه وظلم فيه وبذلك يحـد الانســان من جشعه وانـكبابه على المال وعبادته له .

ولا يزال المريد يعـــالج هذه الوسائل بإرشاد شيخه حتى ينبت فى قلبه التقدير لله والتبجيل له ، ويصير له فيه موضعا ، فلا يعود مسخراً للأغراض الدنيئة فحسب ، بل تعرف الأغراض العلية سبيلها إليه و بالتدريج وحسب الاجتهـــاد ينقى القلب من الشوائب ويخلص لله ، وإن كان بطبيعة الحال لا تتيسر على الاطلاق هـذه التنقية الـكاملة فهى مستحيلة فى العادة .

الأصل الثانى : الأسوة الحسنة

بينا أن الطريقة العملية لتوجيه الفرد توجيها صالحا ، هى إرشاده إلى نموذج مقيد . يحاول جهده أن يتمثله ويتبع منهاجه .

وفى ذلك أمر الله المؤمنين بالاقتداء بالرسول بقوله « ولكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقوله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . ولما كان الناس بعد وفاة الرسول لم يشاهدوه عينا . فقد لزمهم أن يقتدوا بمن اقتدوا بالرسول وتشبعت نفوسهم من أصحابه ثم التابعين ثم تابعى التابعين وهكذا .

ويجب أن يلابس هذا الاقتداء ما يغرس محبة الرسول فى قلب المريد حتى يكون اتباعه له عن محبة وإعجاب فيؤتى ثمره ، فلا يكون تقليدا ظاهراً ، بل انطباعاً روحياً وتشرباً باطنيا معنوياً .

وأهم أسباب تقوية هذه الآصرة هو زيادة الصلاة على الرسول والتعظيم لذكراه وكل ما يمت إليه بصلة كاحترام آل بيته ومحبتهم واحترام أولياء الله الذين تشربت قلوبهم بمحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

الأصل الثالث : اختلاف المناهج

وقد اقتضى تعدد طباع الناس وتعدد ظروفهم تعدد مناهج الإرشاد ، وطرق التوجيه الصوفى .

فمن الناس من يكون مثلا فى حالة من الترف والبسط لا يقبل معها كثرة الرياضة وخشونة العيش . ولكنه فى الوقت نفسه محتاج إلى ذلك . فيكون طريق ارشاده مثلا إلى توجيهه إلى الشكر لله . فلا يحرم مثل هذا المريد من المتعة والترف . بل على العكس يجسم له ما فى هذه النعم من موجبات الشكر لله . ويكون ذلك بأن يؤمر بالتسبيح بأسماء الله التى تفعم نفسه بالشكر وتشعره بالنعمة كأسماء « الحميد والكريم والمعطى والوهاب والمنعم والجواد » ونحو ذلك . حتى إذا فاضت نفسه بالشكر بدأ مرشده يشعره بخطر حرمانه سبحانه تعالى من نعمته ، وإن الله هو المانع كما هو المانح ، وأنه القابض كما هو الباسط . ويكلفه التسبيح بأسماء تلقى فى نفسه تقوى الله وتحاشى نقمته عليه كأسماء « اللطيف . الرحمن . الرحيم . الودود » ثم يلقى به فى النهاية فى مجال العبودية بعد أن تشربت نفسه بذلك ويكون تسبيحه مثلا بأسماء « الملك . القدوس .

المهيمن . ذو الجلال والإكرام »

وبالعكس إذا كان المريد معسراً يضيق به الحال ، فلا مجال لإدخاله من باب الشكر لأن حاله يكذب مقاله إذن ولا تتجاوب نفسه مع هذه الطريقة . فيمكن أن يدخل من باب آخر كالرياضة العنيفة من الصيام والتقشف والخلوة والذكر الكثير . ولا شك أن ذلك يرضيه ويفرج عن نفسه لأنه بدلا من أن يكون مكرهاً على سوء حاله يكون متطوعاً له ومنتظراً منه الفائدة .

وهكذا فإن لكل طريقة منهاجها وبابها للدخول إلى الكمال . فهى تتطور بالمريد بما يلائم حاله ، وغالباً ما يجرى التوفيق بفعل الله إلى أن يتوجه المريد إلى الطريقة المناسبة لشخصيته . وهو عادة يسأل عن أصول الطريقة قبل الانتماء إليها فإذا صادفت فى نفسه ارتياحاً انتمى إليها. وكذلك إذا وجد المرشد أن نوع شخصية المريد لا يتجاوب مع طريقته فعليه أن يوجهه إلى غيرها والله معطى والرسول القاسم .

* * *

هذه خلاصة للمناهج العملية للطرق الصوفية .

ولا شك فى أنه قد سبق أن تبين أن كل الطرق ملتمسة من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو قد عنى بتعديد الخطط والمناهج بسبب اختلاف الطبائع واختلاف الاستعداد للوصول إلى الكمال . كما سبق أن تبين أن الطريق لا بد أن يوافق الشريعة ، وأن كل ما خالف أصل الشريعة فهو باطل .

مصطفى كمال وصفى

من حكمة الشعر

يا أيها المعدود أنفاسه ... لا بد يوما أن يتم العدد

لا بد من يوم بلا ليلة ... وليلة تأتى بلا يوم غد

الطريق إلى الله

للأستاذ السيد محمد الحافظ التيجانى

أساس طريق الله هو مافى الحديث القدسى فيما رواه البخارى فى صحيحه : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب عبدى إلى بشىء احب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها »

ففى الحديث التحذير من معاداة أولياء الله ، والترغيب فى موالاتهم وفيه تفصيل مراتب القرب من الله عز وجل .

فالمرتبة الأولى : القيام بما افترضه الله على المكلفين ، وهو أداء الواجبات والانتهاء عن المحرمات وهذا هو أول مقام ، وهو الأساس الأول للسير فى الطريق الموصل إلى القرب الأعلى من الله عز وجل فإن القرب مراتب .

والمرتبة الثانية : التقرب إلى الله عز وجل بنوافل الخير — بعد الواجبات — وهى كثيرة مبينة فى كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صلوات غير الصلوات المفروضة ، والصيام والصدقة والحج والبر والذكر والعفو وحسن المعاملة ، وسلوك الأحسن فى الأقوال والأفعال والأحوال حتى فى الخصومة « ادفع بالتى هى أحسن » فإن الدفع بما هو حسن جميل ، وأجمل منه الدفع بالتى هى أحسن ، وهذا من المندوبات المقربة إلى الله

ونوافل الخير ليست بواجبة ، ولكنها سنن ومندوبات ولا تصبح واجبة إلا بالنذر على شروطه المبينة فى كتب الفقه ، والخلاف فيها معروف ومن سار على وجه مشروع فى مذهب من المذاهب المتبعة فلا حرج عليه بلا خلاف بين العلماء ، وللمندوبات أثر بين فى النفس ، والحرص عليها لايكون الا نتيجة لنور فى القلب وقد جعلها الله عز وجل متممة لما فى الفرائض من نقص .

والشرع لم يلزم أحدا بشىء معين

من نوافل الخير ، ولكنه ترك للمسلم اختيار ما يستحسنه منها — وكلها حسن . وثبت فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن الفرائض هل علىّ غيرها ؟ قال لا إلا أن تطوع وسواء استحسنها لنفسه ، أو استشار ناصحا أمينا فأرشده إلى بعضها . وهذا المرشد له أجر الدلالة على الخير ، ولا ينقص من أجر العامل شيء .

ومن يريد أن يمنع أن يرشد مسلم مسلما إلى خير فأخشى أن يكون ذلك حسدا منه ليحرم ذلك المرشد من أجر الدلالة على الخير ، وهى من أصول الشرع والأمر بالمعروف والتعاون على البر والتقوى . والحسد من أخلاق إبليس ، وبسببه طرد من رحمة الله إلى الأبد .

ولا يزال العبد يتقرب - كل يوم يزداد قربا من المولى عز وجل ، ويزداد حضورا ومراقبة وبعدا عن مواطن الغضب الالهى ، وتخلقا بالحياء من الله عز وجل ورعاية لجلاله ومعرفة لكماله ، حتى يصل إلى مقام المحبوبية وهى المرتبة العليا .

ومرتبة النهاية (حتى أحبه) فاذا أحبه الله تولى أمره ، فأحاطه برعايته الخاصة والحفظ الذى وقى به أهل الخصوصية من أوليائه المحبوبين . وقوله تعالى فى الحديث القدسى . « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » لا يحتاج مسلم فى فهمه إلى بيان أن الله عز وجل منزه عن أن يحل فى شيء من خلقه لأنه من الأوليات التى لا يصح الإيمان إلا بها ، ولكن معناه فى الأسلوب العربى أن تظهر آثار عنايته على جوارح العبد نتيجة للنور والفرقان الذى أنار الله به قلبه .

فالبداية التوبة المشروعة فى الكتاب والسنة ، والنهاية وعلمناه من لدنا علما وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . فيكون وارثا من ورثة أحوال النبيين والعلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم ، وأعلى العلم معرفة المحبوبين لربهم عز شأنه .

هذا بيان مجمل لمنازل السير من مقام (يحبونه) إلى مقام (يحبهم) « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى حديثة الشريف مقامات الدين : الإسلام والإيمان والإحسان .

فمقام الإسلام : ما يختص بالظاهر من النطق بالشهادتين — الذى يدل على أن العبد مصدق بقلبه بوحدانية الله عز وجل وبكل ما جاء به رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — والقيام بالواجبات كلها والانتهاء عن المحرمات كلها .

وأما الإيمان ، وهو مختص بالقلوب ، أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

والاحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومن العلماء من اشتغل بمقام الإسلام، وهو تحرير الأحكام الظاهرة من صلاة وصيام وزكاة وحج ومعاملات وحلال وحرام ونحو ذلك وهؤلاء سموا فقهاء .

ومنهم من اشتغل ببيان الإيمان الصحيح وجب العقائد الفاسدة والشبه وهؤلاء سموا علماء التوحيد .

والعلماء الذين اشتغلوا بمقام الإحسان، وهو عبادة الله مع حضور القلب وذكر جلالة الله وعظمته ، والاستدامة على ذلك حتى كأنه يرى ربه عز وجل ، وهذه منزلة تحتاج إلى تهذيب وتزكية النفس وترويضها على مراقبة مولاها عز وجل هؤلاء هم علماء — مقام الإحسان الذين سماهم السلف الصالح الصوفيه .

ولا بد لأهل الإحسان من أحكام مقام الإسلام ، ومقام الإيمان ، إذ لا يمكن للمرء أن يصل إلى درجة عليا إلا إذا تمكن مما دونها .

قال تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

فإذا كان المرء متصفا بعدة نقائص كالجهل والشح والجبن والطمع والاثرة والأنانية وما إلى ذلك من مساوىء الأخلاق ، ثم تعلم ، فالعلم يرفع منه نقيصة واحدة هى الجهل وتبقى النقائص الأخرى تحتاج إلى رياضة وتهذيب بالوسائل التى تتعاون مع العلم فى التغلب عليها والتخلص منها ، والتحلى بالفضائل .

ومن انجع الوسائل فى ذلك ، الصحبة الصالحة ، كما قال صلى الله عليه وسلم « مثل الجليس الصالح كصاحب المسك ومثل الجليس السوء كنافخ

الكبير ، الحديث. وما الطريق إلا هذه الصحبة ، وهو علم تلقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه واسلم عنه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان علماء السلف رضوان الله عليهم يقدمون الاشتغال بعلوم الأحكام الشرعية ثم ينتهون بعدها إلى هذا التهذيب الروحى — علم تزكية النفس ـ وهذا هو العلم الذى تخصص فيه الصوفية رضوان الله تعالى عليهم ، وكتبوا فى نقائص النفس وكيفية التخلص منها . وقد كتب الغزالى فيه ربع المنجيات وربع المهلكات من كتابه أحياء علوم الدين كما كتب غيره — وكتب الصوفية كلها تدور على هذا المحور.

فليتنا سلكنا هذه السبيل النيرة التى تحفظ على العلماء كرامتهم (فالمصيبة على الأمة العالم الذى لا يعمل بعلمه) . وإذا ذاك يكثر فى الأمة العلماء العاملون الذين يستنار — بنورهم ويضيئون بالأخلاق الفاضلة للأمة سواء السبيل .

وفى العدد القادم إن شاء الله سنتحدث عن الشبهات التى أثارها خصوم التصوف حوله ثم نمضى بعد تفنيدها فى الحديث عن الطريق إلى الله

وأول شبة اعترض بها المعترضون أن اسم الصوفية لم يكن موجودا فى زمن الصحابه رضوان الله عليهم .

الصوفية هم أهل السنة

قال ذو النون المصرى : « من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنته » .

وقال الحارث المحاسبى : « من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهرة بالمجاهدة واتباع السنة » .

وقال أبو يزيد البسطامى : « لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة » .

التصوف بين رواده وحساده

بقلم الأستاذ محمد محمود على بحبح
شيخ الطريقة السطوحية

التصوف من قديم أصل من أصول التربية الروحية ، بل هو الدعامة الأولى التى قامت عليها فى شتى الأزمان ومختلف الأيام الأسس الأخلاقية والتربية النفسية .

فمن لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه كان التصوف نبراس الهداية . ومبيد الطمع والجشع والغواية .

فى كل زمن تجد التصوف . وأمامهم حسادهم من ضعاف اليقين وطلاب الجاه والزلفى عند الحكام والسلاطين .

المتصوفون ومعهم المريدون والعابدون الحامدون الذاكرون الزاهدون . وأمامهم هؤلاء المؤلفون . المداهنون . يرمون المتصوفة بالتوا كل مرة وبالتدجيل أخرى بل وبالإلحاد فى بعض الأحيان ، والمتصوفة ، يمرون بقولهم مر الكرام يطلبون لهم الهداية . وهم يرمونهم بالغواية .

الصوفى لا يزاحم غيره فى دنياه ، لأنه لا يأخذ منها إلا بقدر ما يوصله إلى أخراه . اتخذ دنياه ممراً إلى مقر دائم . ونعيم مقيم .

ومن الغريب العجيب أنك تجد ممن يتطاولون على الصوفيين ، فى ممر الأيام والسنين من ينتسبون إلى الدين :

قال بعضهم فى الحلاج إنه مارق من دينه . ويعلم الله أنه من أوائل الموحدين ، وقالوا عن الجنيد أنه مجنون . وكم هدى الآلاف إلى الطريق المأمون ، وقالوا عن البدوى إنه جاسوس ، ومعلوم أن له اليد الطولى فى تعبئة الشعب ضد الصليبيين . وهل نستكثر عليهم هذه الأقوال وقد سبقهم غيرهم فى سيد المتصوفين حيث قالوا عنه : (إنه شاعر وأنه مجنون) .

والله لو تجرد الحاقدون ، وحكموا عقولهم فيما يقولون ، ودققوا النظر فيما يصدر عن الصوفيين ، لخجلوا وقالوا :

ربنا لا تؤاخدنا فيما مضى ، واحشرنا فى زمرة المتصوفين ...

جاءنى رجل متعلم وقال ـ مولاى ـ هل يصح أن تكون رسالتكم أن تشجعوا الناس على التواكل بحجة أن هـذا توكل . وعلى عدم التداوى على أن هذا تسليم . وعلى مجافاة الناس وعدم التآلف معهم بحجة أن هذا عزلة هل يليق هـذا وخصوصا من الشيوخ المتعلمين .. فقلت له والله يا أخى : لو أنصفت لقلت . الناس يظلونكم بنسبة كذا وكذا إليكم فما رأيك لأن ما وجهته أين دليلك عليه . فقال : هذا هو المشاع المذاع عن السادة مشايخ الطرق الصوفية . فقلت لاحول ولا قوة إلا بالله .

أما عن الشطر الأول من سؤالك عن أننا نشجع التواكل فهذا كلام مردود بل مفترى . لأن نفس المشايخ أغلبيتهم العظمى لهم أعمال إما حكومية أو حرة . والقليل له من موارده ما يكفيه وبلغ من السن ما يحتاج فيه إلى الراحة .

ويا أخى : هل غاب عنك أن الصوفية الذين يأخذون بعزائم الأمور أول من يطبق على نفسه الحديث الشريف (من بات كالا من عمله . بات مغفورا له) أما عن الشطر الثانى وهو الدعوة إلى عدم التداوى فهات دليلك على شيخ واحد يدعو إلى ذلك . مع أن سماحة شيخ المشايخ فى الشهر الماضى أجرى جملة استشارات طبية بسبب انحراف بسيط فى مجرى الهواء .

أما عن الشطر الثالث من سؤالك فلا يزيد عن الشطرين السابقين إلا أن عكسه هو الصحيح بدليل أن السادة المشايخ يقيمون السرادقات ويضيئون الثريات فى موالدهم ويقدمون للناس أنواع المأكولات والمشروبات فكيف يحتفل بالناس من يكره لقاءهم .

هذا مثل بسيط مما هو سائد فى بعض العقول حتى المتعلمة من القائمين بالتصوف فى هذا الزمان .

قوم يجودون بمـا يملكون . براحتهم ومالهم ووقتهم فى سبيل نشر دعوة الإسلام وحفظ شعاراته المقدسة وتعاليمه الوضاءة . ولا يسألون عليه أجرا إلا المودة والمحبة والسعى لرضاء رب العالمين .

اللهم لا ملجأ للصوفية إلا إليك . أنت الذى تعلم ما فى نفوسهم وأنت الذى حفظتهم وحفظت دعوتهم فيما

مضى وستحفظهم فيما سيأتى ، لأنها دعوتك بل هى نورك ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولعل فيما تقوم به المشيخة الآن من إعداد تشريع جامع مانع يحفظ للصوفية كيانها . ويبعد دخلاءها ويطهر ساحتها من الجهلاء والأدعياء لعل فى هذا الجهد المشكور المأجور ما يسد الطريق أمام الحاقدين .

والله سبحانه وتعالى هو الهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الطرق السطوحية

محمد محمود على بحبح

دعاء الجيلى . . .

من مأثورات المناجاة الصوفية المجابة ، مناجاة العارف بالله ، الإلهى الإمام عبد القادر الجيلى ، يقول عنها العارفون إنها من سهام الدعاء التى لا ترد فى تفريج الكروب :

يا من تحل بذكره ... عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى ... وإليه أمر الخلق عائد
يسر لنا فرجا قريبا ... يا إلهى لا تباعد
أنت المعز لمن أطا ... عك والمذل لكل جاحد
فرج بفضلك كربتى ... فلقد نسيت من الأباعد
أنت المسهل والميسر والمسخر والمساعد

مكانة التصوف من الاسلام

للأستاذ السيد أبو الفيض المنوفى
شيخ السادة الفيضية

إن منزلة التصوف من الإسلام منزلة الروح من الجسد والزيد من المخض والمعنى العميق من ظاهر اللفظ وهو عبارة عن العلم بالإسلام مضافاً إليه العمل بواجباته وأركانه ومضافاً إلى ذلك كله إخلاص الوجه لله فى العلم والعمل وفى الخلق الشخصى فى جانب معاملة العبد لله فمن وصل من مجموع المسلمين والمؤمنين إلى مثل هذه الدرجة من فهم الدين كان من عباد الله المخلصين الذين اختصهم الله واستثناهم من مجموع المسلمين والمؤمنين بقوله تعالى : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) واستثناهم الشيطان نفسه فى قوله مخاطباً للحق عز وجل : (إلا عبادك منهم المخلصين) وفى هذا المقام يقول السيد المسيح عليه السلام : (طوبى للذين هم فى النار ولا يحترقون) وفى قول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الخ الآية ، استثناء للقوم أيضاً من بقية الداعين والعابدين والزاهدين والمخبتين من مجموع المسلمين وفى قول الله عز وجل : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت القوم المحسنين فى حديث عن جبريل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو حديث الإحسان الذى سأله فيه جبريل عن الإسلام فقال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة . . . الخ) .

وسأله عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . الخ . ولما سأله عن الإحسان بالذات قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، والإحسان كالإيمان وكحقيقة الإسلام مأخوذ عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه وتبتله وأنابته إليه ، وفى قول الله عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ، لم يشر فقط إلى اتباع الرسول فى أقواله وأفعاله وإنما أشار إلى أتباعه صلى الله عليه وسلم فى أقواله ثم فى أعماله ثم فى أحواله التى منها الإحسان ، والإحسان الذى يجمع بين التقوى وبين المشاهدة القلبية حال العبادة والتبتل لله بالذات . وهو طريق الرجل الصوفى إلى الله بعد أن أحاط بواجبات الإسلام علماً وطبقها عملا بغية الفوز بتحقيق قوله تعالى :(ومن أسلم وجهه إلى الله وهو مسلم فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

والإسلام فى هذه الحالة بما يحتويه من تشريع وعمل يفضى إلى إيمان والايمان يفضى إلى إحسان كحديقة غناء تحوى الأشجار والعبيق والثمار وإذا صح التشبيه كانت كلمة الإسلام وهى كلمة الإخلاص أيضاً سياج تلك الحديقة وكان التشريع المنتج للعمل الصالح والمكون للإيمان الثابت تدريجياً مع اليقين المتين بذور تلك الحديقة ، وكان الإحسان بما يحتويه من تقى وشهود وتبتل وصدق وإخلاص . . . الخ . ثمار تلك الحديقة الإسلامية وجناءها فى عمومها . أو قل وهو الحق إن الإسلام فى مجموعه مثل اللبن الذى يحوى المصل وهو صواغه . ثم يحوى المسمار وهو ما يصنع منه ذلك الكائن المغذى المسمى بالجبن ، ثم هو يحتوى وراء كل ذلك الزبد فإذا تصورت ذلك تمام التصور أدركت معنى الإسلام والإيمان والإحسان . فإذا كان الإسلام فى عمومه هو اللبن وكان العلم بأركانه هو المصل كان الإيمان هو ذلك المسمار مسمار الإسلام أى دعامته المغذية التى تمد بالقوة المحبوبة سائر عملياته ، وكان الإحسان هو الزبدة المطلوبة والخلاصة الصائغة من معانى الإسلام والإيمان والإحسان . وما دام لآى القرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع كان للشريعة الإسلامية بالضرورة وهى التى مستمدها الأعظم كتاب الله وسنة رسوله ظاهر وباطن فظاهرها مطلق أحكام الإسلام من عبادات

ومعاملات وغير ذلك وكان باطنها إخلاص العبادة والمعاملة لوجه الله توسلا إلى حبه ومرضاته تعالى . ومذ كانت الشريعة هى التزام العبودية كانت الحقيقة مشاهدة الربوبية وقصدها بالذات بتلك العبادات والمعاملات وهذا اقتضى أن كل شريعة غير مؤيدة بحقيقة العبودية والإخلاص حالة ظاهرية والعلم بها يسمى حين ذاك بعلم الظاهر وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة عند الله . ومذ كانت الشريعة تكلف الخلق بحقرق الحق كانت الحقيقة بجانبها هى التسليم لتصاريف الحق أو كما يقول المحققون من أهل التصوف : (الشريعة أن تعبده والطريقة تقصده والحقيقة أن تشهده) ، فالشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر . فالشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمر إلهى والحقيقة شريعة من حيث أنها شهود باطنى لتصاريف الحق فى أفعاله ويقين صادق فى الإيمان به ، وفى العمل المؤدى لحبه وعرفانه .

على أن ظاهر الشريعة وباطنها حقيقة واحدة لا إنقصام لتوحدها ولا انقسام فيها اللهم فى عرف أدعياء التصوف بغير علم وعمل وفى حسبان زى علم الباطن وغلاته الذين قال الإمام مالك رضى الله عنه فى أمثالهم : « من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ومن تشرع ثم تصوف فقد تحقق » . وهل قام علم الباطن إلا على أساس من الشرع الظاهر ياترى ؟ !!!

وبعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجبت العناية من أمته بشريعته الغراء وكانت أحكام الشريعة تتلقى من صدور الرجال لا من الصحف لا فرق فى ذلك بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها وبذا نشأ النظام العلمى فى أحكام الشريعة ونشأت حقيقة التدين كنتيجة للعمل بها ، وكان بالطبع أول ماتوجهت إليه همم العلماء بالفقه والمحدثين وأول من صرفت إليه أفكارهم حتى فهم الناس ممن عدى أولئك ، إن الاشتغال بالعلم الدينى والعمل بمقتضيات أحكامه هو كل غاية الدين ولكن وفطن قوم إلى أن لظاهر الأحكام ولظاهر العمل بها بواطن وحقائق لا يتم الأمر إلا بتذوقها وتشبع الروح بها فلجأوا إلى علم آخر يتناسب مع الكمال فى أمر الدين الإسلامى يلمس البواطن والحقائق وأدى هذا الطموح المتسامى

إلى نواة علم دينى يقوم بجانب العلم الظاهر مقام اللب أو الزبد من المخض كما تقدم وكان ذلك هو علم التصوف وأهله هم الصوفية أو سالكوا طريق الوصول إلى محبة الله تعالى باتهاج مقامات الإيمان كالتوبة والصبر والصدق والتوكل ... الخ . ثم والتحلى بأحوال الإحسان كالرضا بالله والأنس به والحب له ... الخ .

فإن قلت ما فائدة المسلم من أن يكون للشريعة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله باطن وظاهر ؟ قلنا لك أن لكل شىء فيما حولك من يمينك ومن شمالك ومما هو فوقك من سموات وتحتك من أرضين لكل شىء من هذه الألوان باطن وظاهر ، والشريعة أفضل وأسمى ما جادت به السماء على الأرض !! فكيف لا يكون لها ظاهر ملحوظ بالأبصار والعقول وباطن مشهود بالأرواح والقلوب . ويكون العلم المختص بظاهر الأحكام فى العبادات والمعاملات هو ظاهر الشريعة والمختص بالبواطن والسرائر والأحوال الناتجة عن ظاهر الأعمال هو باطن الشريعة أو قل علم الحقيقة فإن قلت أيضاً . ما دام العلم بمجموع ما جاءنا به النبى من عند الله موجوداً وما دام العمل بمقتضياته مطبقاً ومرعياً فما الفائدة فى أن يكون للشريعة علم باطن هو التصوف وعلم ظاهر هو الفقه المختص بالأحكام ؟ .

قلنا لك أيضاً أن الله جعل من عباده الخير والصالح والعابد والزاهد وجعل منهم أيضاً صفوة سماهم عباد الرحمن — وعبادى وأولياءى إلى أن قال . . إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون — وكل هذا نزل به القرآن وأقرته الشريعة الإسلامية : «وكلا نمد هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا» ، ورحم الله البوصيرى الذى قال :

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم

السيد أبو الفيض المنوفى

العدل مفتاح السعادة

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر

ويلى عدل الولاة فى الأهمية .. عدل القضاة وهو أعظم ركن تقوم عليه السعادة ، حيث أنه يترتب عليه ؛ أمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم فيحيون حياة طيبة ، ويعيشون عيشة راضية ، وينصرفون إلى مصالحهم وأعمالهم فى غير خوف ، ولا ذعر ، فيسود النظام ، وتسعد الأمة ، وتعم الطمأنينة جميع الناس ، وترفرف عليهم أعلام المسرة والسلام .. يروى أن ابن عبد الله ، قاضى الكوفة كان مضرب المثل فى التمسك بالحق والصراحة فيه ومجابهة الأمراء به ، وحماية حمى العدل حتى لا يبغى أحد على أحد : جاءت إليه إمرأة متظلمة وهو فى مجلس الحكم . تشكو الأمير « موسى بن عيسى » ابن عم أمير المؤمنين « المهدى بن المنصور » وقالت فى شكواها : كان لى بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن أبى وقاسمت إخوتى ، وبنيت بينى وبينهم حائطاً ، وجعلت فيه رجلا فارسياً يحفظ النخل ويقوم به . فاشترى الأمير نصيب كل من إخوتى ، ثم سامنى فى نصيبى فلم أبعه .. فلما جاء الليل أرسل غلمانه فهدموا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئاً واختلط بنخل اخوتى !! وأريد من القاضى رد نخلى إلى .. فكتب إليها معها كتاباً مختوماً يدعوه إلى الحضور فى مجلس القضاء ، لمناقشته فى هذه القضية المرفوعة عليه من هذه المرأة . فلما اطلع على كتاب « شريك » القاضى ، أمر رئيس الشرطة بأن يذهب إليه ، ويبلغه هذه الرسالة « ياسبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك يا شريك !! إمرأة أدعت دعوى لم تصح أعديتها على !! » فقال رئيس الشرطة : ألا يعفينى الأمير من ذلك ؟ فانى مأمور من القاضى باحضارك أمامه فى مجلس القضاء ، وسوف يعاقبنى إن لم أفعل !! فقال الأمير : أمضى ويلك . فخرج وقال لغلمانه : سيأمر بى

القاضى إلى السجن ، فهدوا لى هناك ما ما أحتاج إليه من بساط وفرش !! وما أن وقف بين يدى القاضى وبلغه الرسالة حتى أمر بسجنه كما ظن . فلما بلغ الأمير الخبر ، وجه إلى القاضى حاجبه وقال له : بلغه ما يأتى بالحرف الواحد : « رسول أدى رسالة أى شىء عليه ؟ » فأمر القاضى بسجن الحاجب مع زميله رئيس الشرطة .

عندئذ غضب الأمير ، وذهب إلى جماعة من وجوه الكوفه وأصدقاء القاضى وقال لهم « أبلغوه السلام ، وأبلغوه أنه استخف بى وعاملنى معاملة العامة » فضوا إليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر ، وأبلغوه رسالة الأمير . فقال لهم : ما أنتم إلا فتنة ، وما أرى لكم غير الحبس . فقالوا : أجاد أنت ؟ قال : نعم حتى لا تعودوا مرة أخرى فتكلمونى من أجل ظالم !! وحبسهم جميعاً . . فلما علم الأمير بذلك فركب فى الليل إلى السجن ، وفتح بابه وأخرجهم جميعاً فلما أصبح الصباح وجلس « شريك » للحكم . جاء السجان فأخبره بما فعل الأمير . . فدعا بكتاب رسمى وختمه وتوجه إلى منزله ، وقال لخادمه : الحق بى إلى بغداد والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، وقد ضمنوا لنا فيه الأعزاز ، إذ تقلدناه لله ولهم . ومضى نحو قنطرة الكوتة إلى بغداد ، ليشكوا الأمير للخليفة . .

وبلغ ذلك الأمير « موسى بن عيسى » ففزع وركب فى موكبه ولحقه ، وجعل يستعطفه ، ويناشده الله ويقول : يا أبا عبدالله أنظر إلى إخوانك كيف تحبسهم ، من أجل أمر مشوا إليك فيه ؟ فقال القاضى : لست براجع عن شكايتك لأمير المؤمنين « المهدى » وسأمضى إليه أستعفيه من هذا الأمر الذى قلدنى إياه ، أو يردوا جميعا إلى السجن كما أمرت !! فأمر الأمير بردهم جميعاً إلى السجن . . عندئذ رجع الشيخ « شريك » القاضى ، وقال لأعوانه : خذوا بلجام دابة الأمير ، وأحضروه بين يدى فى مجلس الحكم ، فأخذوا به حتى جلس القاضى مقعد القضاء وأمر بالمرأة المتظلمة فجاءت ، فأوقفها بجانب خصمها الأمير . وقال لها : أهذا خصمك ؟ قالت : نعم فقال الأمير : هأنذا قد حضرت بين يديك للفصل بينى وبين هذا المرأة ، فليخرج أصحابى وأعوانى الذين سجنتهم . قال القاضى أما الآن فنعم ، أخرجوهم جميعاً من السجن . . وجرت هذه المحاورة فى

مجلس الحكم :

القاضى : ماذا تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟

الأمير : صدقت فيما قالت لك .

القاضى : إذن ترد ما أخذت منها ، وتبنى لها حائطها سريعاً كما كان .

الأمير : أفعل ذلك .

القاضى للمرأة : أبقى لك دعوى على هذا الرجل ؟

المرأة : بيت الرجل الفارس حارس البستان ومتاعه .

الأمير : ويرد بيت الفارس ومتاعه

القاضى : هل بقى لك أيتها السيدة ؟

المرأة : لا ، وبارك الله عليك وجزاك خيراً .

ولما انصرفت المرأة إلى شأنها ، قام القاضى من مجلسه ، وأخذ بيد الأمير « موسى » فأجلسه مكانه . وقال : السلام عليك أيها الأمير أتأمر بشىء ؟ فقال : بأى شىء آمر ؟ وضحك . فقال « شريك » : أيها الأمير ذلك الفعل حق الشرع ، وما أقوله الآن حق الأدب . . فقام الأمير وهو يقول : « من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه » ،

فاذا جار القاضى ولم يعدل : اختل النظام ، وسادت الفوضى ، فاضطرب الأمر ، ولذا كانت مسئولية القضاء فى نظر الدين الإسلامى جد خطيرة عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة : رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو فى النار » رواه أبو داود والترمذى . والحديث يفيد : أن الجهل لا يصلح أن يكون عذراً ، فان مصالح الناس يجب أن يعنى بها أتم عناية .

وهذا مما حدا بكثير من علماء السلف الصالح إلى التورع عن إعتلاء منصة القضاء ، لا لريبة فى نزاهتهم ، ولا لحق فى تصرفهم ، ولا لجهل فيهم ، ولكن خشية الزلل والانحراف من قصد ، روى المدائنى قال : أرسل أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » رجلا من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزنى » و « القاسم ابن ربيعة الجوشنى » من بنى عبد الله ابن عفان . فيولى القضاء أنفذهما . . فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال « إياس » للشامى : أيها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى البصرة : « الحسن

البصرى ، و « ابن سيرين » فمن أشارا عليك بتوليته فوله (وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما) فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به . . فقال « القاسم » للشامى لا تسأل عنى وعنه فوالذى لا إله إلا هو إن إياساً أفضل منى وأعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق ، فإنه ينبغى لك أن تقبل منى ، وإن كنت كاذباً ، فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب . . فقال « إياس » للشامى : إنك جئت برجل فاقته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين كاذبة ، يستغفر الله منها وينجو مما يخاف . فقال الشامى : أما إذ فطنت لهذا فإنى أوليك ، فاستقضاه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . . ولما ولى القضاء ودخل عليه الحسن البصرى فبكى « إياس » وقال : يا أبا سعيد بلغنى أن القضاة ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو فى النار ، ورجل اجتهد فأخطأ فهو فى الناو ، ورجل اجتهد فأصاب فهو فى الجنة . . فقال الحسن : إن فيما قضى الله تعالى فى النبى داود ما يرد قول مولاى ، ثم قرأ قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » فحمد سليمان ولم يذم داود .

والآية التى أوردها الحسن البصرى تشير إلى واقعة ونصها كما فى الخطيب قال ابن عباس وقتاده : وذلك أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم . فقال صاحب الحرث : إن هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى فى حرثى فأفسدته فلم تبق منه شيئا . . فأعطاه داود رقاب الغنم فى الحرث . فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه .. فقال سليمان : لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا . وروى أنه قال : غير هذا أرفق بالفريقين . فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له : كيف تقضى ؟ ويروى أنه قال له : بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين . . قال ادفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الحرث كهيئته دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه . . فقال داود : القضاء ، ما قضيت . كما قال تعالى :

ففهمناها سليمان » أى علمناه القضية وألهمناها له . وحكمهما : باجتهاد كما قال به المحققون ليدركا فضيلة المجتهدين ورجع داود إلى حكم سليمان ، لما ظهر له أنه الصواب ، وجوز الخطأ عليه ، لأن المجتهدين لا يقدرون على إصابة الحق فى كل حادثة ، لكن لا يقرون على الخطأ . وقيل : بوحى لكل منهما فإنهما كان نبيين يقضيان بما يوحى إليهما ، فحكم داود بوحى ، وحكم سليمان بوحى نسخ به حكم داود ، لأن الأنبياء يمتنع عليهم الإجتهاد عند قوم لاكتفائهم بالوحى . وعليه فقوله تعالى « ففهمناها سليمان » أى بطريق الوحى الناسخ يدل عليه قوله : « وكلا آتينا حكما وعلماً » أى فهما على الصواب . وحكم داود عليه السلام لو وقع فى شريعته بشرطه ، لم يكن فيه ما يقتضى الفساد ، لأن قيمة الزرع يجوز أن تكون قدر قيمة الغنم ، وصاحبها مفلس فتباع أو يأخذها إن رضى . . بخلاف حكم سليمان . وأخرج الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما إمرأتان معهما بناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا إلى سليمان فأخبرتاه . فقال : ائتونى بالسكين أشقه بينكما نصفين ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى، ولقائل أن يقول . وما هى الدوافع التى حملت نبى الله داود على أن يقضى به للكبرى ويجاب عن ذلك بأنه عليه السلام وجد الدين معها واستمع إلى حجتها فوجدها قوية ، فى حين أن الصغرى قد عجزت عن إقامة البينة . ثم هل للقاضى أن ينقض حكمه إذا أخطأ أم لا ؟ للعلماء فى هذه المسألة قولان : أحدهما : أنه ينقضه إذا أخطأ ثم تبين له وجه الحق

وثانيهما : أنه لا ينقضه ،لما روى فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » ففى هذا الحديث دلالة صريحة على أن المجتهد يخطىء ويصيب ، وأنه لا يأثم بخطيئة ، بل له أجر الاجتهاد.. وذهب بعض العلماء : إلى أن المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » أى أخطأ ما عند

الله وما هو فى نفس الأمر من الحق وهذا الخطأ لا يعلم إلا يوم القيامة أو بوحى من الله ، حيث أن الحق عند الله واحد لا يتعدد ، وأن لله عز وجل فى كل قضية حكما واحداً فمن وفق إليه فقد أصاب ، ومن لم يوفق إليه فقد أخطأ أما الخطأ الذى يظهر للقاصى فى الدنيا نظراً لعدم استكمال شرائط الحكم أو نحوه فهو الذى يدور الخلاف حوله من نقض الحكم أو عدمه ، وإن كان من الأرجح النقض ، صونا للعدالة ، وإرجاعا للحق فى نصابه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض قضاته فى الولايات : ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » .

عبد المنصف محمو عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

« يتبع »

من آفاق المعرفة المحمدية

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :

« كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت هذه الآية : ـ « من عمل سوءاً يجزى به » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أقرئك آية أنزلت على . ؟ قلت بلى يا رسول الله ، قال . فأقرأنيها فلا أعلم ما أصابنى ، إلا أنى وجدت انقصاماً فى ظهرى ، فتمطيت لها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شأنك يا أبا بكر ؟ »

فقلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، وأينا لم يعمل سوءاً وإنا لمجزون بما عملنا ؟

فقال رسول الله عليه وسلم : أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله ، وليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون ، فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة . . . . . »

وهذا معنى القول المأثور : المؤمن مصاب ! ! ؟

الإسلام يوجه الغرائز

الأستاذ محمود محمد عمارة
المدرس بمعهد منوف الدينى

... وينزل الطفل على الحياة ضيفا جديدا . . أبيض الصحيفة . . نبى السريرة .. مشرق الوجدان .

تحدر من صلب عفيف إلى آخر شريف . . ثم يخرج من بين الصلب والترائب . . وفى طبيعته خصائص آبائه وأجداده . . باسطا ذراعيه للحياة . . رافعا رايته البيضاء لها . . ولسان الحال إن أعجزة المقال يهتف : جئت حمامة تنشر فى ربعك الخصيب نشيد السلام ! .

ومن هنا يتشكل سلوكه فى قالب تلك البيئة التى ولد فيها ..

البيت .. المدرسة .. الأصدقاء فى الخارج .. كل الناس الذين تربطه بهم صلة .. وتجمعه وإياهم فى دائرة واحدة .

وهذه البيئة تتعاون مع الوراثة فى تكوين شخصية الطفل وتحديد اتجاهه . . وكما يأخذ الماء شكل الزجاجة التى تحتويه . . يأخذ الطفل طابع المجتمع الذى يعيش فيه .

وقد أعجبنى تصوير الإنسان فى مجتمعه بآلة تصوير :

عيناه عدسة توصل الضوء والصور إلى داخل الآلة . .

والفكر هو « اللوح الحساس » الذى يطبع عليه الضوء ما يعرض أمامه من مناظر الحياة وآراء الناس.

وما رأى الشخص إلا الصور التى يبرزها المصور نقلا عن اللوح الحساس . .

فرأى الإنسان وفكره واتجاهه فى الحياة . . هو صورة لما انطبع على لوحة فكره من آراء الناس .

وإذا كان المجتمع بهذه المثابة من الخطورة . . نرى الإسلام يسلط أضواءه الكاشفة عليه . . إذ هو النبع

الفياض الذى يستقى منه الإنسان شرابه .. ليحوله إلى غذاء صالح لبناء مستقبل صالح .

وما الأسرة بعلاقتها المختلفة .. إلا صورة مصغرة لهذا المجتمع الكبير وقد شملها الإسلام برعايته .. ليخلق منها عشا جميلا .. يأوى إليه الإنسان فيجد الراحة بعد طول عناء ..

ما الذى صنعه الدين لها ؟

حدد واجبات كل من الزوج وزوجه تجاه الآخر . كيلا تكون الحقوق دولة فى يد واحـــد .. والواجبات عبئا ثقيلا على كتف آخر .. وجعل التفاهم والرفق دستورا يسيران على هداه .

فيوجه نداءه للرجال قائلا :

« وعاشروهن بالمعروف فـإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

وبذلك يسد على وساوس النفس كل طريق .. تلك الوساوس التى تتحول إلى حقائق بعد أن يجسمها الوهم .. فتنقلب الحياة الزوجية رأسا على عقب ..

فإذا كرهت زوجك لأنها دميمة فربما أنجبت لك ولدا هز الحياة كلها . وإذا كانت لا تنجب إناثا .. فغيرها لا ينجب قط ..

فإذا أخطأت المرأة .. فعظة بالغة تهز نفسها ..

فإن لم تجد .. فهجر المضجع بعيدا عنها ولا ينبغى للزوج أن يلجأ للضرب إلا إذا لم تثمر إحدى هاتين العقوبتين « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن »

ويبين الإسلام للمرأة طريقها . وأن سعادة البيت فى طاعة الزوج .. والحديث الشريف يقرر أن الملائكة تلعن الزوج التى تخرج بغـير إذن زوجها حتى تعود ..

ورسالتها فى البيت من الأهمية بمكان .. وإذا كان ساسة البلاد يديرون شئون الجيل الحاضر .. فإن المرأة فى بيتها تدبر شئون الأجيال المقبلة .. فليس قانون المرأة :

قصقصى طيرك .. لئلا يلوف بغيرك ! ولكنه — كما قالته أعرابية لإبنتها : « إنك داخلة على زوج لم تعاشريه .. فكونى له أرضا .. يكن لك سماء » ! ! كونى له مهادا لينا .. عفيفة اليد والقلب واللسان .. يكن لك هو الآخر سماء تنشر أمامك

الضياء .. وتمطرك بالغيث وفى جمالها وفسحتها تذوب عنك آلام الحياة وأسقامها . .وبهذا وحـــده يخرج الطفل من البيت إلى الحيـــاة نسخة واضحة غـــير مهزورة . . الوالدين كريمين . . وخلاصته مركزة لمجموعة من الفضائل . . التى ترفع شأن الإنسان .

فإذا ما أختل هـــذا الميزان . . وانطلقت عواصف الغيرة القاتلة . . وظهرت الأنانية بوجها الكالح . . انقلبت السفينة . . وراحت نهبا للأنواء . .

وتنتهى مثل هذه الحرب دائما بهزيمة الفريقين ! . فهى على حساب راحة الزوج وأمنه . . وعلى حساب كرامة المرأة ومستقبلها .. ومع هذا وقبل هذا . . تطبـع الطفل الصغير بطابع قاتم . . يختل معه ميزان حياته وتحتويه مجموعة من العقد النفسية . . التى تجعل الحياة جحيما لا يطاق . . وقد سجلت الاحصائيات أخيرا أن الخلافات الزوجية أضر على الأطفال من زوج الأب ! .

على أن الأحصائيات العلمية أثبتت أخيرا أن ٩٠ ٪ من نزلاء الإصلاحيات جاءت نتيجة حتمية للطلاق .. وللشجار الدائر بين الطرفين

وإذا . . فالطفل وديعة فى يد أبويه . . كصفحة نقية بيضاء . . لا لغو فيها ولا تأثيم . .

وفى استطاعة الأبوين أن يخطا فيها قصيدة جميلة . . تتغنى بالفضيلة . وتعلوا على نزوة الأهواء . . وهما مسئولان عنه أمام الله والناس . .

وقد سمعنا .أخيرا بقانون صدر فى بعض الولايات الأمريكية ينص على عقاب الأب الذى يهمل فى تربية أبنائه . .

وهو فى الواقع قانون الإســـلام الخالد . وإن كان يحمل اسماً أمريكياً

فالله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم وأهليـــكم نارا وقودها النـاس والحجارة » .

وكما يقـول الإمام الغزالى إذا كنت تخاف على والدك من نار الدنيا فلأن تحفظه من نار الآخرة أولى .

فإذا ما قامت الأسرة بواجبها كاملا نحو الطفل . . سلمته بعد ذلك إلى المدرسة إنسانا نظيفا . .

ثم تحمل المدرسة الراية من بعدها لتمضى معه فى رحلة العيش خطوات أخرى نحو الكمال . .

وإذا كان خطر البيت هو أن الصبى فيه كالعجينة الرخوة يشكل فى أية صورة . .

فإن أهمية المدرسة تظهر فى أنها الفترة الحرجة . . فى تاريخ الإنسان . . فترة المراهقة . . التى تتفتح فيها المواهب . . وتبحث لنفسها عن الطريق التى تعبر فيه عن نفسها . . وتنتشى الغرائز والطاقات المختلفة . . وتستوى على سوقها وتلح فى التنفيس عن ذاتها . . وإذا لم تهيىء المدرسة لهذه الغرائز . . وتلك الطاقات مجالاتها التى تعمل فيها . .

تمردت وانفجرت . . فيتحطم بذلك وجود الشخص . .

والإسلام بمبادئه السامية يرسم للمدرسة المجالات . . ويحدد الدوائر التى ستنطلق فيها كل غريزة لتعبر عن نفسها . . بصورة تعود على الفرد وعلى المجتمع بالخير والرفاهية . .

ونحن نرى علماء الإسلام من رجال التربية ينادون بل يحتمون الرياضة بجميع صورها فيقول أحدهم:

« علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » .

إلى غير ذلك من التوجيهات التى تتسامى بهذه النزعات . . وتبتعد بها عن معنى الحيوانية فيهـا . . بحيث تكون للانسان عونا وظهيرا . . وإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم . . سنجد فيه صورا حية نابضة للمجالات التى رسمها لتكون مرعى خصيبا للغرائز :

فى طبيعة الإنسان غريزة المقاتلة فيأخذ الإسلام بيدها . . ثم يطلقها فى مرعاها اللائق بها . . وهو القتال فى سبيل الله :

« وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده »

« فليقـاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة »

وبذلك لا تلتفت إلى وسيلة أخرى غير شريفة كالقتل والسلب وقطع الطريق . .

والغريزة الجنسية يحس كل إنسان ضرورتها فى نفسه . .

والإسلام يلوح لها : بالزواج حتى لا يلجأ الإنسان للبغاء : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

والإنسان طموح بالغريزة . . وبدل أن يترك لهذا الطموح الحبل على الغارب . .

يسوقه إلى العمل . . إلى الإنشاء والتغمير . . إلى صنع الطـــائرات والنفاثات . . ولكن فى خدمة السلام

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

وغريزة حب الاستطلاع تتجه أول ما تتجه إلى التجسس ، والبحث عن المثالب والعيوب لنشرها تحت الشمس . . فيضرب الناس بعضهم رقاب بعض . . والإســـلام الحنيف يرسم لها ميدانها الخليق بها :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

أفـلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت . . وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت . . وإلى الجبال كيف نصبت »

وهـكذا . . فيما يتعلق بجميع الغرائز .

وإذا كانت الجريمة هى انحراف الشخص لأنه فشل فى التوفيق بين ميوله وقانون مجتمعه . . فإن الإسلام بمسلكه هذا يخلق الانسجام بينهما . . فيشيع الأمن . . وتنتشر السكينة . . ويطوى الحقد رايته السوداء . . أمام أشعة الحب البيضاء . .

وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

محمود محمد عماره

المدرس بمعهد منوف الدينى

شهيد التصوف الإسلامى

الحـــــلاج

يواصل الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، نشر هذه الدراسة العلمية عن شهيد التصوف الإسلامى الحلاج ابتداء من العدد القـــادم إن شاء الله .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

مقاييس علم النفس (ب) السعادة والانسانية

بقلم الاستاذ : حسنى طه شكيان

رأينا — فيما سبق بتوفيق الله تعالى — كيف تتكون عواطف الإنسان فتدفعه إلى ضروب شتى من السلوك قصد التوافق والتكيف بصورة مامع المجتمع ؛ وقد سمى — علماء النفس — الصورة التوافقية بين عواطف المرء المكتسبة واستعداداته الفطرية ، وقدراته العقلية — الفطرية والتعليمية — وصفاته الجسمية والمزاجية — سموا هذا التوافق بين هذه المقدارات بتكامل الشخصية ؛ كما حدثونا عن بروز عاطفة اعتبار الذات فى مستويات شتى من السلوك أرفعها قدراً ما صدرت فيه هذه العاطفة عن فكرة تخفيف آلام الإنسانية والعمل على إسعادها ، وذلك مستوى القادة الكرام ورأينا — مع مكدوجل — كيف ترتبط السعادة بفكرة تكامل الشخصية فى مستواها الأسمى حيث يندفع المرء فى سلوكه وتفكيره لتحقيق مثل عليا للإنسانية .

وقد قال تلميذه الدكتور عبد العزيز القوصى عند عرضه هذه الفكرة : ونستطيع أن نرى فى هذا المستوى القادة والأنبياء ..

وحقا — مارأوا — فإن أسعد أيام القادة يوم أن تحقق أفكارهم ومبادئهم ومخترعاتهم خيراً ومرحمة للإنسانية ، ولسان حالهم قول محمد الكريم رسول الإنسانية :

« افعل الخير مع أهله ومع غير أهله ، فإن أصبت أهله فبها ، وإلا فأنت أهل له »

أو قوله ،

« لا يكن أحدكم إمعة .. يقول : أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن : وطنوا أنفسكم . إذا أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن ترشدوهم وتنصحوا لهم » أو كنصيحة عيسى الكريم لحواريه « كونوا كشمس الله تشرق على

الأبرار والأشرار ، . ، أجل لقد قدموا الخير للإنسانية رغم ماعارضتهم السلطات الحاكمة ، أو بطشت بهم الجماعات الشاردة الضاله ، فكانوا كشمس الله العظيم تهب النور والحياة لكل الكائنات ، وكانوا كسحب السماء تهب الرى والحياة لجميع الخلائق دون تمييز ..

والإنسانية لا تدين فى تطورها وترقيها لأحد كما تدين لحكمائها ومرشديها وقادتها ومصلحيها ، وأساتها ومخترعيها ومن بين هؤلاء جميعا تقدس رسالات أنبيائها وعبقرياتهم الكريمة . . . أولئك الذين وسعوا الإنسانية فى أعماقهم ، وعاشوا لها فى نبضات قلوبهم ، وخطرات عقولهم ، وخفقات مشاعرهم ، فكانوا أكمل صورة للكمال البشرى ، وأجل فكرة لقدسية الحياة التى اصطفاها الخلاق الأعظم مظهراً أعلى لخلافته على الأرض دون خلقه جميعا .

ولنتساءل — فى شىء من التفصيل الواجب — : ماهى حاجات الإنسانية الأساسية فى ترقيها وتطورها نحو السعادة فى أعلى درجات الكمال البشرى ... وكيف تحصل عليها وتحققها ؟

لا شك أن الحياة مظهر جلال الصنعة فى الأرض وفى الكون . .

ولاشك أن هذه الحياة قبس الحى الأعظم المدبر للكون ومانح الكون مظهر الجلال والجمال فى حياته ..

ولا شك أن العقل إنما هو نافذة الحياة على روائع فى هذا الكون خافية من وراء مظاهر الجمال التى لا تجد ولا تعد ...

ولا شك أن سمو الحياة إنما هو فى ضروب من السلوك الاجتماعى الأخلاقى مما اصطلحت عليه الإنسانية — بالمثل العليا — فى حب وإيثار وتضحية بالغة وإخاء إنسانى شامل وتكافل حان كريم ...

ولا شك أن الإحاطة بكل ذلك مبادىء وأفكاراً ، وعقائد وأشواقاً وشريعة ونظاماً ، وحكمة واعية ، ومعرفة رائعة ... إنما هو أساس السعادة الإنسانية وشمسها الساطعة فى موكب الكمال ..

فمنذا الذى أحاط بكل ذلك ؟ وقدم للإنسانية كل أولئك ؟ معرفة وتطبيقاً لاشك — أيضاً — أن قادة الإنسانية جميعاً قد تعاونوا فى هذا السبيل بيد أن الصورة المتكاملة لكل هذه

المعارف لم يستقل بها أحد كالأنبياء ولم تجد لها أكمل رسالة من القرآن الكريم ، وأجل قائد من محمد الكريم (رسول الأنسانية ، وأسعد كائن على الإطلاق ..)

وبهذا شهد برنارد شو — كاتب إيرلندا الإنجليزى الشهير :

إنه لن يمر هذا القرن حتى تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامية ولو أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بعث فى هذا العصر ، وكانت له الديكتاتورية على هذا العالم ؛ لنجح تماماً فى حل جميع المشكلات العالمية ، وقاده إلى السعادة والسلام . وبمثله قال الكثيرون فى كل عصر ومن كل أمة ...

والتاريخ شاهد عدل على كمال شخصيته التى وسعت الإنسانية منذ نعومة أظفاره وعلى غير مثال سابق أولا حق ، ثم فى رسالته الخالدة أروع الدليل ؛ وأوقع البراهين « يتيم فقير بين مجتمع من السادة والعبيد تشيع فيه الرذيلة والظلم والجهالة وقساوة الطباع ، وضراوة العادات أضعاف مايتخلله من خير وحق وفضيلة وكرم ونجدة ، ورعاية لحقوق الضعفاء .

مجتمع من البداوة المتحضرة ، والبداوة القبلية التى تقدس سفك الدماء لأوهى الأسباب ولا تنام على ضيم أو ثأر فما تزال تضطرب نفوسهم حتى يملئوا الأرض إجراماً ونكراً من الغارات وهتك الحرمات ، وسلب الأموال ...

هذا إلى جمود عقلى وضلال عقيدى ، وتفكك اجتماعى كبير ...

يتيم فقير وسط هذا المجتمع ينبغى أن يكون كواحد من هؤلاء اليتامى المضيعين ، والفقراء المستضعفين ، والاجراء المحرومين ، والأناسى العاديين ...

ولكنه يخرج على كل ظنة وترقب وينطبع على كل كمال فى الخلق من غير مثال محتذى بين يديه اللهم إلا مجموع فضائل متفرقة بين الناس لا يكاد يجتمع منها كثير فى شخص واحد ، ولا تفى كلها بمثل يقتدي به .

إنه جميل السمت والمظهر والمخبر ، رقيق الطباع . لين الجانب ، كريم الفعال ، صادق القول ، عفيف الطرف ، وفى العهد ، حفيظ الوعد ، أمين السر ، راعى الحرمات كريم الرد ، سمح المعاملة ، حكيم التصرفات ،

مسموع الكلمة ، نفاذ النظرة ، محبوب لأول لقاء ، مرعى الجانب ، موقر الحضور والغيبة ، مجاب الدعوة ، إذا قال أنصتت القلوب لحديثه وإذا حكم ففى حكمه الشفاء من معركة دامية أو فض منازعة كما فى قضية وضع الحجر الأسود ، وإذا تخاصم الناس كان فى جانب الحق يعضد أهله ويؤازرهم ، وإذا اشتركوا فى شرب ولهو ، أو سجود لصنم وعكوف على ضلال كان أبرأ الناس منه وأشدهم اشمئزازا من هذا الصنيع .. إنه كما قالت خديجة : والله لن يخزيك الله أبداً — وحجتها — لأنك تحمل الكل وتقرى الضعيف ، وتكسب المحروم ، وتعين على نوائب الدهر .. وكذلك كان قبل بعثته .. وتأخذ الإنسانية من قلبه الفتى حيزاً كبيراً يأسى لضلالها ، ويتألم لشقوتها وفرقتها ويحزن لظلم أقويائها ، ويتفطر أسى لحروبها ومنازعاتها ، فيرى كثيراً وهو مطرق فى شعاب مكة مهموم بما يدور من حوله ، ويشكو بعض ذلك ويتحدث عنه فى الأهل « ياعمة .. والله مابغضت شيئاً كاللات والعزى وما أدرى لماذا يعكفون عليهما وهما لا يسمعان ولا يبصران ولا يغنيان عنهم شيئاً ... وكانت قد سألته لماذا لا يشترك مع قومه فى أعياد أصنامهم وقرابينها .. » ويشترك انتصاراً للحق فى حرب الفجار بتقديم السهام لاعمامه وهو ابن أربع عشرة ، ويقول عن حلف الفضول الذى عقد انتصاراً للحق .. ما أحب أن لى بحلف ابن جدعان حمر النعم ، ولو دعيت إليه لأجبت ...

ولم تشغله الإنسانية وحدها ، بل شغله مصدرها وربها ، ومالك أمرها ولم تشغله الأرض بحدودها ، فخلق فى سموات الوجود ونيراتها ، وملكوتها وأسرارها .. وإليك الدليل ومن حياته ومن أول فقرات نزلت عليه من القرآن العظيم رسالته لهذه الحياة :

لقد اعتزل الناس كثيراً ، واتخذ لنفسه من غار حراء محرابا يتصل فيه بالملكوت الأعلى المحيط به ، يستلهم قضية الإنسانية وإسعادها ، ويستنبئه عن السموات العلا وأسرارها . فكان أن نزل عليه الحق — بعد خمس عشرة سنة من الإعداد النفسى ، والتفكير المتواصل :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك

الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ...

وراجع معى كيف أجيب عما فى نفسه ... فرسالته التعرف والقراءة فى صحيفة الوجود كله مستعينا بربه الذى خلق هذا الكتاب المحيط فى الكون العجيب ، فتلك رسالته فى معرفة أسرار الوجود .. ثم ليأخذ من قضية الإنسان صفحات رائعة للحق فهو أعجب كائن يحمل صورة القدرة الكبرى للذى خلقه من علق ، وصوره فأحسن تصويره وركب فيه العقل خزانة المعرفة ، وجعل سبيله إليها القلم يلهمه به علم مالم يكن يعلم فى كتاب الكون كله ، وفى أعماق الإنسان ورسالته فى الحياة ..

وفى كل ذلك عاش محمد الكريم من قبل رسالته إنساناً فياضاً بالحياة ثرياً بأسمى العواطف والمشاعر التى تتلمس أسرار الوجود ، وتأسى لقضية الإنسان فى دنياه مالم تتلقه يد الحكمة الربانية ؛ فتعلمه مالم يكن يعلم ، وتهديه الصراط المستقيم عن بصيرة . ونسوق هنا دليلين من شهادة قومه :

(١) دعاهم للإسلام .. فناداهم : يابنى فهر .. يابنى هاشم .. يابنى عبد مناف .. أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ ، قالوا : نعم ماجربنا عليك كذبا قط ..

فما جربنا عليك كذبا قط . وإنك فينا لصادق ، وإنك فينا لأمين شهادة التاريخ على إنسانية محمد الصافية ، ومثاليته منذ صباه ...

(٢) وناصبوه العداء ثلاث عشرة سنة حتى تآمروا على قتله فهاجر ليلا من مكة ، وترك من خلفه عليا ليرد الودائع إلى أهلها : ودائع المشركين من أعدائه الذين لم يجدوا فيما بينهم رجلا يعلو بإنسانيته فوق كل عداء وخصومة كمحمد الأمين ...

هذا هو محمد الكريم قبل بعثته مثل أعلى لتكامل الشخصية ، فى نفس زكية ، وخلق قويم ، ومشاعر فياضة محيطة بالأنسانية ، وعبقرية متفتحة مستقصية لأسرار الوجود ، وحكمة حصيفة تفصل فى أكبر الخصومات وهى ماتزال فى مهد المعرفة .. بيد أن هذا لا يجعل منه مثل الإنسانية الأعلى من فوق الأنبياء جميعا ، فهذه سطور حياة كريمة مكرورة عند كل الأنبياء — تقريبا —

فلنبحث عن شخصيته ورسالته فى الحياة ؛ وصنيعه لسعادة الحياة .. فذلكم مقياس التفاضل بين القادة والأنبياء .. فإلى لقاء كريم إن شاء الله

الرومانتيكية فى الأدب الصوفى

للأستاذ أحمد عوض الله
المدرس بالأزهر

ظل العالم الغربى مقيداً بقيود أدبية جعلته صريع التقاليدو العادات السائدة فالأدباء والشعراء ملتزمون بها لا يحيدون عنها ولا كان جزاؤهم التهكم من المجتمع .

وليس معنى هذا أن أدبهم فى تلك الفترة كان ضعيفاً أو متهافتاً فتلك ناحية أخرى من نواحى البحث لا يمكن التعرض لها فى هذا المجال :

وقد أطلق الأدباء والفقهاء اسم « الأدب الكلاسيكى » على هذا النحو من الانفعالات والمشاعر المقيدة بنظام البيئة وقانون المجتمع ولم يأت القرن الثامن عشر الميلادى حتى ظهرت فكرة جديدة فى الأدب الغربى كان هدفها تطوير الأدب والخروج به على التقاليد والعادات السائدة والانطلاق بالعاطفة الإنسانية حيث تسبح فى مجالاتها المختلفة من الحب والألم والرحمة . والحزن .. الخ.

وأطلقوا على هذا التطور اسم « الرومانتيكية » ويمتد معنى هذه الكلمة إلى ما يشمل شبوب العاطفة والاستسلام للشاعر والاضطراب النفسى والفردية والذاتية .

ويفخر الغربيون لأنهم أتوا بأدب جديد كما يظنون ونسوا أن الأدب الصوفى ملىء بالمشاعر الإنسانية والعواطف المشبوبة .

وتعال معى فى رحاب هذا الأدب حيث ترتفع روحك فى سماء الأخيلة الجميلة فترى الحقائق واضحة جلية قد أسفر عنها نور الله وشفافية النفس نعم . تعال معى فى ذلك العالم الخالد حيث تمتزج الدموع بالذكريات وينبع الإلهام الإلهى من قلبك الرطب...

وتذوب معانى الألم فى نور الحقيقة وتتدافع مباهج اللقاء حيث تنحسر ظلمات الأحزان ...

تحلل ما استطعت من كل القيود التى تحول بينك وبين عاطفتك وانتقل بحبك من الفناء إلى الخلود حيث تجد السماء مصغية لأنغامك الجميلة وحبك الطاهر ....

طف بخيالك فى زوايا المعرفة وتنقل به فى ملكوت الله الواسع العريض وتأمل هذا العالم السابح فى نور الله يرى مايروعك ..

أفراح ، آلام ، حب ، رحمة ، شرق وجد ، نور ، إلهام ، فضائل

هذا هو الأدب الصوفى فى جملته ....

وسنتناول فى هذا البحث منهج كل من الأدب الرماونتيكى والأدب الصوفى فى المسائل التى اشترك فيها كل من الأدبين لنبين بطريق المقارنة أى الأدبين أبعد أثراً وأعمق غورا ...

على أنه يمكن القول بأن الأدب الرومانتيكى فى الغرب قد تأثر بالأدب الصوفى فى الشرق وتكون المسألة بهذا الاعتبار ناحية من نواحى التأثر ، والتأثير وهى ناحية قد تبدو مهمة وسنقتصر فى هذه المقالة على ناحية واحدة من النواحى التى اتفق فيها كل من المذهبين .....

وهذه الناحية هى ناحية الحزن عند كل من الصوفيين والرومانتيكيين

لم يكن الرومانتيكى مرحا ولا متفائلا وإنما كان منقبضاً بسبب إنهيار آماله وبعد المسافة بينه وبين مجتمعه الذى لا يقدر إحساساته ولا ينفعل معه فى عواطفه وآلامه . .

ولذا تراه حزيناً كاسف البال لا يقر له قرار بل إن نفسه لتخلى كالمرجل حيث يشعر بشعوره المرهف أنه لن تتم له سعادة فى هذا الوجود وسنرى ذلك واضحاً فى نصوصهم .

يقول « شاتو بريان » وهو من طلائع الرومانتيكيين الفرنسيين فى كتابه « مذكرات ما وراء القبر » : « فى فترة شبابى الحائر كثيراً ما كنت أتمنى ألا أعيش بعد لحظات سعادتى فكان فى بشائر الفوز درجة من درجات السعادة تدفعنى إلى تمنى الموت » .

والرومانتيكى تشغله الصور الحزينة فيأس لها ويأخذ العبرة منها ...

يقول بيرون : « قد يمكن تحمل الوجود » .

وقد تتخذ الجذور العميقة للحياة

والآلام مقاماً وطيداً فى القلوب المحزونة المتجردة . . فتعانى الإبل ما تعانى فى صمت تحت حملها الثقيل ... ويقاسى الذئب آلام الموت فى صمت... لا ينبغى أن تكون هذه الأمثلة قد منحت عبثاً . . . فإذا كانت هذه المخلوقات فى جبلتها الوضيعة أو الوحشية تعانى ما تعانى دون أن تتراجع . . . فأولى بنا أن نتحمل نحن المخلوقين من صلصال . . . .

وانظر إلى هذه الصورة البائسة التى صورها ألفريد دى فينى لذئب يضرب برصاص البنادق وتنفذ فى جبينه السهام دون أن يتلوى ينظر الذئب إلينا ثم يرقد ودون أن يلقى بالاً إلى أن يعرف كيف هلك . أخذ يلعن ما انتشر على فمه من دم ثم أقفل عينيه وقضى نحبه دون أن يلقى صيحة . . . وا أسفا . . لقد فكرت فأدركنى الخجل فما أضعفنا نحن الناس على الرغم من اسمنا العظيم » .

هذه ناحية الحزن عند الرومانسيين أو الرومانتيكيين وهى ناحية تدل على شفافية نفوسهم فيما يتصل بالنواحى الإنسانية .

ولننتقل الآن إلى الأدب الصوفى لنرى فى ذلك الفيض ظاهرة الحزن عند هؤلاء القوم ثم لنرى كيف انتفع الصوفيين بهذه الظاهرة أكثر من سواهم .

وعاطفة الحزن وإن كانت فى مظهرها كئيبة بئيسة إلا أنها تحمل فى طياتها معانى النفس الإنسانية الرقراقة التى تفيض بالحنان والرحمة والدموع دائماً لا تفيض إلا من قلب حساس ينفعل مع آلام البؤساء والمحرومين ويعطف على اليتامى والعاجزين .

ويهمنا هنا أن نورد لك صورة حزينة صدرها السعدى فى كتابه « بستان » لطفل يتيم ، يقول :

ألق ظلك على اليتيم . انفض غباره . اقتلع الشوكة من جسمه . . . . ! !

أنت لا تعرف مدى ما حل به حتى صار بائساً كاسف البال . وهل تبقى الشجرة قط مورقة مخضرة بدون جذور . . . ! !

حينما ترى اليتيم منكس الرأس فلا تضع قبلة على وجه ابنك . . . ! !

إذا بكى اليتيم فمن يشترى له لعبة . وإذا حل به الغضب فمن يحمل عبء غضبه . . . ! !

كن على حذر حتى لا يبكى اليتيم لأن العرش العظيم يهز حين يبكى ... ! !

امسح دمعه من عينه برحمة وانفض

التراب من وجهه بشفقة . . . !!

إذا ذهب ظله من فوق رأسه (مات أبوه) فتول أنت تربيته فى ظلك وكنفك .

قد كان لى رأس متوج حينما وضعت رأسى فى حجر أبى لو وقعت بعوضة على جسمى لاهتز كثير من الناس أما الآن وقد فقدت أبى . فلو حملونى إلى السجن أسيراً ما وجد شخص واحد نصيراً لى من أصدقائى ...!!

ألست معى فى أن الذوق الصوفى قد بلغ نهايته حينما قرأت : حينما ترى اليتيم منكس الرأس فلا تضع قبلة على وجه ابنك .

هذه صورة حزينة أوردتها شاهداً على طبيعة النفس المتصوفة التى يحو لها جو الحزن ويلذلها أن تعيش فيه وتنفعل به ومع ذلك فهى تستعلى بهذه العاطفة القوية لتخلق منها أدباً رفيعاً ينبثق فى القلوب فيهدهد من قسوتها ويكفكف من غلظتها فإذا الرحمة تعم الأرض كما يعم النور السماء ...

على أن هذا الحزن يبدو أنه وليد العزلة التامة التى ينفرغ فيها الإنسان للتأمل والتفكير ويسمو بهذا التأمل إلى درجات قد يعجز القلم عن تصويرها .

والصوفيون والرومانسيون على السواء تستهويهم العزلة ويطربهم الانفراد لأن نور الله لا يمس قلوبهم إلا فى مثل هذه اللحظات السعيدة :

تقول مدام ذى ستال : « بدوام الصلة بالناس تخبو أضواء العقل ونمحى أصول المروءة ومبادىء السمو . . فالموهبة والحب والخلق هذه الأضواء السماوية لا تتقد إلا فى الخلوة إن حكمة الخالق لا تظهر إلا غامضة فى كل نظم المجتمع التى تعقدت بالأهواء والمصالح فى جميع صورها ولكن الحكمة السامية للخالق الكريم ستجدها فى قلبك وتفهمها فى مظاهر جمال الطبيعة ... بين الله والحب لا أعترف بوسيط سوى الضمير . . »

وهذه رابعة العدوية تنفرد بنفسها عن العالم لتأنس بالله وتجعله منتهى غايتها حتى لتهم به وجداً وشوقاً وحباً لا يعرف أحد كهنه وحقيقته .

اللهم إلا تلك الأرواح الصافية

روى السهر وردى أنها كانت تقول

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحث جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤنسى
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

ووصف يونس بن عبيد الحسن البصرى فقال : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنما لم تخلق إلا له » .

والصوفيون لهم فى هذا الميدان مقام لا يطاوله مقام ولكننا بصدد دراسة مقارنة تلزمنا أن نقف عند القدر الضرورى لهذه الدراسة .

وإلى أن نلتقى مع الصوفيين والرومانسيين فى ميادين الحب، والرحمة فستجدنا أمام فيض جديد فإلى اللقاء .

أم القرآن

للأستاذ محمود شلبى

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج - ثلاثا - غير تمام فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدنى عبدى وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى - وقال مرة فوض إلى عبدى - فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال هو: أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل. (رواه مسلم).

قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة، سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها، كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة.

والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض اليه، والنصف الثانى سؤال وطلب وتضرع وأفتقار

لأنها سبع آيات بالاجماع، فثلاث فى أولها ثناء أولها الحمد لله، وثلاث دعاء أولها أهدنا الصراط المستقيم، والسابعة متوسطة وهى إياك نعبد وأياك نستعين.

هذا والتحميد هو الثناء بجميل الفعال. والتمجيد هو الثناء بصفات الجلال.

وقوله مالك يوم الدين، معناه أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم، وبجزاء العباد وحسابهم. والدين الحساب، وقيل الجزاء، ولا دعوى لأحد ذلك اليوم ولا مجاز

وأما فى الدنيا فلبعض العباد ملك مجازى ، ويدعى بعضهم دعوى باطلة وهذا كله ينقطع فى ذلك اليوم هذا معناه والا فالله سبحانه وتعالى هو المالك والملك على الحقيقة للدارين وما فيها ومن فيهما وكل من سواه مربوب له عبد مسخر ؛ ثم فى هذا الاعتراف من التعظيم والتمجيد وتفويض الأمر مالا يخفى . انتهى .

* * *

فكرت طويلا فكرا عميقا فى الفاتحة ، وما احتوته من أسرار وأنوار ، فأدركت أنها بحر لا ساحل له ولا قرار .

لماذا كانت هى السبع المثانى ؟ .

لماذا أسماها صلى الله عليه وسلم أم القرآن ؟ .

لماذا أسماها صلى الله عليه وسلم أم الكتاب ؟ .

لماذا أسماها مرة أخرى فاتحة الكتاب ؟ .

لماذا أسماها الله سبحانه وتعالى فى هذا الحديث — الذى بين أيدينا — الصلاة ؟ .

لماذا أطلق عليها كلمة الصلاة ، هل هى الصلاة ، أم أن الصلاة فيها أشباه أخرى غيرها ، ولكن لماذا أختارها لتكون هى الصلاة دون غيرها ؟ .

وفككت القيود والسدود عن عقلى ، وأطلقته يفكر ويتدبر ويستنبط .

وتذكرت قوله سبحانه « أفلا يتدبرون القرآن ؟؟ » .

« أم على قلوب أقفالها ؟؟ »

فأدركت على الفور أن على قلبى قفلا محكما ، ينبغى أن يحطم وأن يلقى بعيدا .

نعم إننى محجوب ، وعلى قلبى ران ، وعلى روحى غيوم سود .

وناديت من أعماق أعماقى ، أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . ففك القيد ، وحطم القفل ، وتبددت الغيوم ، وتجلت شمس الحقيقة ، وأشرقت الأرض بنور ربها ...

* * *

أما أن الفاتحة أم القرآن ، وأم الكتاب ، فذلك حق وتفصيله أنها الملخص الوافى الكافى للقرآن كله .

فلو جىء بالقرآن وقيل للناس لخصوا لنا هذا الكتاب ، ما استطعنا

أن نجمعه ملخصا فى أقل ولا أدل ولا أشمل ولا أكمل من الفاتحة . .

فهى لذلك تحوى القرآن كله حقا وصدقا وما كان اختيارها فى أوله محض ترتيب ولكنها وضعت كذلك لتكون بمثابة العنوان للكتاب ، أو المقدمة للمؤلف ، أو الفهرس الجامع للسفر الطويل .

ولننظر هل هى كذلك ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية الأولى التى حـوت ما فى الفاتحة كما حوت الفاتحة ما فى القرآن .

فاذا كانت الفاتحة ملخص القرآن فالبسملة ملخص الفاتحة .

وعلى ذلك لم يغال الذين قالوا إن البسملة فيها سر القرآن كله .

بل أعجب من ذلك ... أن الباء التى فى أول البسملة فيها سر البسملة كذلك . فكأن هـذه الباء حوت القرآن كله بالتبعية !! .

هل هذا صحيح ؟

بل هـو الحق الحقيق وإليك التفصيل :

هذه الباء معناها السبب ، والاسم من معناه الإذن ، فباسم الله أى بإسم الله كان كل شىء ويكون ، ولن يكون شىء إلا باسم الله .

فالله هو سبب كل شىء ، موجد كل شىء ، محدث كل شىء ، خالق كل شىء ، وهل التوحيد إلا هذا ؟

وماذا فى التوحيد أعمل من هذا ؟

ولا نريد أن نتعمق « البـاء » أكثر من هذا فالأمر أدق وأرق وأشق لأنه حق .

أما الحمد لله رب العالمين ، فمعناها أن كل شىء يحمد الله لأن الله رب كل شىء ، وأنا أحمدك يارب كل شىء

وأما إياك نعبد وإياك نستعين ، فهى تفويض من العبد لربه ، والله يقول إذا سمعها من العبد « هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » .

مامعنى قول ذى الجلالة والإكرام فى هذا المقال ؟

معناه أن دعوى العبد أنه يختص الله بالعبادة دون سواه وأنه يختصه بالاستعانة دون خلقه ، أن هذه الدعوى لا يعـلم صدقها من كذبها إلا الله ، لأنه هو الذى يعلم السر وأخفى .

هذا بينى وبين عبدى ؟ .

هذا شيء أنا وحدى أعلمه من عبدى ، ولا أحد غيرى يعلم ذلك منه فهذا شيء بينى وبين عبدى .

ولعبدى ما سأل .

إن كان عبدى صادقا فله ما سأل ، وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ... »

وإن كان كاذبا فى دعواه ، فليس له عندنا شيء ، لأنه لا يعقل مايقول

أرأيت ؟ . عجائب وغرائب فى تلك الفاتحة .

إنها حقا أم القرآن ، لأنها أعلنت التوحيد والتفويض والتمجيد والتحميد لله ، وأعلنت من العبد السؤال والتضرع والافتقار لله .

وإلى أى شيء جاء يدعو القرآن غير تلك المعانى ؟ .

وإنها أم القرآن لأنها تدوى فى الأرض والسماء ، فى الأولى والآخرة أن الملك لله دون سواه .

ما لك يوم الدين ؟؟ .

له وحده ملك يوم القيامة إن كنتم تجهلون أنه الملك لهذه الدنيا لسبب ما أنتم فيه من فتن ملوككم ورؤسائكم .

إن الناس يعيشون فى أوهام ، ويخيلون لأنفسهم أنها حقائق ، بل يرفعونها إلى مقام التأله ، فيعبدونها من دون الله .

نعم ... وهذا هو سر شقائهم .

اتخذوا إلههم هواهم . . وعبدوا أوهامهم وظنونهم وشهواتهم ، أطاعوها فيما أمرت ونهت وأعرضوا عن الله الحقيقى حتى إذا جاءوه وعرضوا عليه يوم الحساب ، ضل عنهم ما كانوا يفترون ، وعلموا أن الملك يومئذ لله

تعلن الفاتحة هذا ... مما لا تسعه هذه الصفحات ، ولا ما هو أوسع من تلك الصفحات .

ذلك أن الله أنزلها ملخصا لكتابه وأنزل البسملة ملخصا للفاتحة ، وأنزل الباء ملخصا للبسملة .

فهل قلنا شيئا فى الفاتحة ؟

والله ما قلنا شيئا ...

محمود شلبى

أباطيـــل الشيوعية
فى الـكراسة الرمادية

للأستاذ عبد الرحمن سلامه العطار
المدرس بالأزهر

نشرت صحيفة أخبار اليوم نص الكراسة الرمادية التى كتبها بعض الكتاب الروسيين طعنا فى الأديان جميعها ، وخصوا الدين الإسلامى من بينها بأكبر نصيب من السبـــاب والتجريح ، وقد وزعت على أفراد الشعب العراقى المسلم عن طريق سفارة الصين الشيوعية ، فأحدثت بين الشعب العراقى ثورة عارمة كانت سببا فى مذابح الموصل ، وكركوك ، وبغداد ، وراح ضحيتها شهداء أبرار أعزة من الجيش ومن الشعب مازال مصابهم فى قلوب المسلمين جرحا لم يندمل ، ودمعاً لم يرقأ !!!

وقد عكفت على قراءتها مرات عدة ، وأشهد أن شعرة واحدة منى لم تهتز فرقا على الآسلام بل على النقيض من ذلك لقد ازددت إيمانا به واعتزازا بتعاليمه السامية الخالدة ، ورسوخا بقرآن الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد كما اشتد يقينى بأنه خالد على الزمن ، باق مابقيت الدنيا لأن الله الذى أنزله ضمن له الحفظ والخلود : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ..

وقد قلت فى كلمة سابقة إن الشيوعية مذهب مادى قائم على انـكار الأديان جميعا ، والتنـكر للقيم الروحية العالية وإنها دعوة إلى الهمجية الأولى ، ورجوع بالإنسانية إلى حياة الغابة !

ولم تأت الـكراسة الرمادية بشىء جديد على هذا ، سوى ماأفعمت به من ألوان السباب والشتائم ، والتزييف لحقائق التاريخ الثابتة ، والترويج لآراء المنحلين المنحرفين عن الدين الذين لم تشرب نفوسهم حب الإيمان ، ولم تنعم قلوبهم بنورة !!!

وأصارح قارئى الـكريم أننى ترددت كثيرا فى الرد على هذا الـكتاب

الملعون !! فماذا نقوله لقوم أنكروا ذاتيتهم كأناسى وأهدروا آدميتهم كبشر ، وجعلوا قلوبهم فى أكنة مما يدعو إليه الإسلام ، وعصبوا عيونهم بعصابات حمراء تحول بينهم وبين ذلك الإشراق الإلهى . وعاشوا ليأكلوا فقط فهم بهذا أشبه بالحيوان منهم بالإنسان !!!

ولكنى عدت فتصورت قارئا فى أمية دينية أو شبه أمية قرأ شيئاً من هرائهم ، وافترائهم فعلقت به غشاوة مما يدعون إليه !!

ماذنب هذا المسكين الذى أضلوه على غير قصد ، وقتنوه على رغم منه ؟

فرثيت لحاله وشددت عزمى ، وشمرت عن ساقى للرد على هؤلاء علنى أغسل قلب هذا اللون من الناس من غثائهم ، وأفعمه نورا وحكمة . . وسأسير مع الكراسة الرمادية ، فقرة فقرة وفق ترتيبها لأنقضها حجرا حجرا . لأنها بناء هش متهاو لايقف صامدا أمام البحث العلمى ، بل يتداعى إلى السقوط والانتكاس إذا ووجه بحقائق التاريخ الثابتة ...

بدأ كتاب الكراسة الملعونة مفترياتهم بمقدمة قصيرة زعموا فيها أن الروس ارتقت اقتصادياتهم أخيرا حين نفضوا أيديهم عن الدين ، ونال العامل منهم جزاءه وذلك بفضل تعاليم ماركس ولينين .. !!

ونحن لايعنينا فى كثير ولا قليل أن نعرض للعمال الروس ، وماهم فيه من فاقة وضنك إذا قيسوا بالعمال فى أى شعب من الشعوب الإسلامية ، وأنهم ثاروا أخيرا فى وجه زعمائهم مطالبين بأحذية تقيهم الحفاء والبرد وأن حاجتهم إلى الأحذية أكثر من حاجتهم إلى الأقمار الصناعية إلى آخر ماهتفوا به ، فالروس أحـــرار فى أن يتبعوا أى نظام يشاءون ، شبع شعبهم أو جاع ، عز أو ذل . وإنما الذى يهمنا أن نوضحه أن الإسلام يأخذ بيد العامل أكثر مما يأخذ بيده أى نظام بشرى « شيوعى أو رأسمالى »

كما أن الإسلام نظام اجتماعى واقتصادى وسياسى ، وليس دين عبادة فقط ، وإنما هو تنظيم شامل لجميع نواحى الحياة مما يوفو أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ولا تعارض تعاليمه الرقى الاقتصادى كما زعم الروس فى كتابهم « الملعون » .

بل إن الإسلام يعنى بالحث على العمل ، والسعى ابتغاء الرزق .

وتسخير جميع الامكانيات التى يسرت للإنسان فيما يعود عليه بالرفاهية ولا يرضى للمؤمنين به إلا أن يكونوا سادة أعزة . والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة متضافرة على تأكيد هذا المعنى . اقرأ من القرآن الكريم قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ، « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن » أى فى العمل « كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين

واقرأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل ابن آدم طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وفى الأثر : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا على أن رسول الله صلى الله عليه الله عليه وسلم لم يأنف أن يشتغل أول حياته برعى الغنم ، وهو القائل : مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه وأنت يارسول الله ؛ قال « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » واشتغل فى شبابه بالتجارة فى مال خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فكان المثل الأعلى للتاجر الناجح صدقا ، وأمانة ، ومهارة حتى ربحت تجارته وتضاعف رأس مالها مما حمل السيدة خديجة رضوان الله عليها أن تخطبه لنفسها زوجا . ولم يرض القرآن الكريم للمؤمنين به الهوان والضعف بل وصفهم بالعزة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » على أن الإسلام يتبع فى نظامه الاقتصادى الاشتراكية المعتدلة وهى وسط بين نظامى « الشيوعية » ، والرأسمالية فهو يحوى خير مافى النظامين وما فى غيرهما ، وينبذ خبثه اتباعا لقاعدة الوسطية فلا إفراط ، ولا تفريط فالعدل مثلا وسط بين الظلم المطلق ، والرحمة المطلقة وهكذا كل فضيلة من الفضائل ، والإسلام وهو جماع الفضائل كلها وسط بين غلو اليهودية ، وتهاون النصرانية « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

فالإسلام إذن لا يعوق التقدم الاقتصادى ، ولا يخدر شعوبه ، ولا يرضى لأهله الدون من العيش ،

بل يدفعهم إلى العمل دفعاً قوياً ، ويأخذ بيدهم نحو نظام اقتصادى منعدم النظير .

ويزعم أصحاب «الكتاب الملعون» أن الإسلام كغيره من الأديان ظاهرة تاريخية معرضة إلى تغييرات وتبديلات بحسب الظروف وأنه نشأ نتيجة عوامل تاريخية محضة لا تحتوى على شيء عجيب أوغير اعتيادى » !! ولا نجد أكذب على الله ، وعلى التاريخ من هذا البهتان فالإسلام ليس ظاهرة تاريخية ، ولو كان كذلك لباد فيما بادت فيه الظواهر التاريخية ، ولكنه بقى متألقا عبر السنين رغم ماتعرض له من غارات إلحادية لا تقل خطورة عن هجمات الشيوعيين الآن ، ومع هذا فإن الإسلام أبادها وبقى راسخا كالطود الأشم لا تزعزعه الأحداث ، ولا تنال منه الخطوب ..

أيذكر أصحاب الكتاب الملعون أن إخوانهم فى الفوضى والهمجية وهم التتار هجموا على المسلمين بخيلهم ورجلهم فى غفلة من الزمن واستطاعوا أن يسيطروا على بغداد وحاولوا جاهدين أن يأتوا على حضارة الإسلام من القواعد فأحرقوا كتبه ، وألقوها فى نهرى دجله والفرات حتى سدت مجريهما، وظنوا أن أمر المسلمين أصبح بأيديهم وأن الدنيا قد ألقت قيادها لهم ، ولكنهم مالبثوا أن انصاعوا وذابوا فى حضارة المسلمين وخرج الإسلام من هذه المحنة كالذهب الإبريز لاتزيده النار إلا تألقا ولمعانا ؟ !!

ولو كان الإسلام ظاهرة تاريخية بشرية لأبقى على المعتقدات التى كان لها فى نفوس العرب اجلال وإكبار ، أو على الأقل لجعل المحافظة عليها وسيلة من وسائل الدعاية له ، ولكنه كان صرخة مدوية فى آذان الوثنية بجميع صورها ، وكان بعثا جديدا للعقل الإنسانى والسمو بالإنسان أن يذل إلى غير الله . أو يخضع لطاغوت من طواغيت البشر كما يفعل الروس الآن فهم يؤلهون الدولة ، وتذوب عقول الشعب فى عقول زعمائه وفى هذا إهدار لآدميتهم ، وانتكاس لعقولهم لا يرضاه الإسلام لأتباعه . بل لايرضى للإنسان أن يسجد لغير الله : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى » « فاعلم أنه لا إله إلا الله » .

ولو كان الإسلام ظاهرة تاريخية بشرية لنسبها محمد صلى الله عليه وسلم

إلى نفسه ، ولفاخرت قريش بها ضرورة أن محمدا صلى الله عليه وسلم فى مكان الذروة من قريش ، ولانصاعت لهذا الدين من أول نداء صدع به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الأمر كان على العكس من هذا فماوجد محمد رهقا ولا أذى من أحد مثل ماوجده من قريش وهم أهله وعشيرته حتى لقد قال لهم حين ظفر بهم : « بئس القوم كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ، ونصرنى الناس وذهب القرآن الكريم فى ذمهم إلى حد أن شبههم بالدواب « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » وسخر من آلهتهم : « ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها » ؟ ! !

ولقد حرص القرآن الكريم على تسجيل مركز محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الدين الكريم وأن وظيفته لا تعدو الرسالة والبلاغ : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » « ما على الرسول إلا البلاغ » « إنما أنت منذر » « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم لقريش : « إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة » بل لقد ذهب القرآن إلى أبعد من هذا كان يعاتبه فى موضع العتاب : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى ، وماعليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكره »

ويرشده إلى العدل إذا التبس عليه الأمر ، وخفى الدليل ، فقدهم أن يحكم على يهودى بالسرقة وقد علم الله براءته فنبهه القرآن إلى خطورة الحكم قبل صدوره : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا » .

البحث مستمر

مقام المحبة عند الصوفية

بقلم الأستاذ
أبو الوفا التفتازانى
مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »

مقام المحبة من مقامات التصوف العالية ، ولا يصل إليه إلا قليل من السالكين الذين يختصهم الله بعنايته .

ويستند هذا المقام أيضا كغيره من مقامات الصوفية إلى شواهد من الكتاب والسنة ، فهو مستند إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » فهذه الآية يمكن أن تتخذ أساساً لنظرية الصوفية فى الحب الإلهى ، سواء أكان حب الله للإنسان أم حب الإنسان لله .

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه » ، وورد فى الحديث القدسى أن الله تعالى يقول : « .. ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ... إلخ »

وقد كانت رابعة العدوية أسبق الصوفية الذين أشاعوا استعمال لفظ الحب فى الإسلام ، وكانت رابعة العدوية تعبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا طمعا فى ثوابه ، وإنما محبة لذاته ، واستمتاعاً بمطالعة جماله الأزلى على نحو ما يستفاد من قولها فى مناجاتها : « إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقنى بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل

محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى » . وتقول رضى الله عنها كذلك : « ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له وشوقاً إليه » .

ولرابعة العدوية أبيات فى الحب الإلهى مشهورة بينت فيها أقسام الحب ، على نحو ما يتبين من قولها مناجية الله سبحانه وتعالى :

أحبك حبين : حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذا كا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سوا كا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك لى الحجب حتى أرا كا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

وكان الحارث المحاسبى من الصوفية الأوائل الذين تكلموا فى المحبة ، فيشرح لنا المحبة من الناحية النفسية قائلا : « المحبة ميلك إلى الشىء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك فى حبه » .

وأبرز شعراء الحب الإلهى فى تاريخ التصوف الشاعر الصوفى المصرى شرف الدين عمر بن الفارض الذى كانت حياته فياضة بالحب وخاضعة للوجد ، فاستمع إليه قائلا :

إن الغرام هو الحياة فمت به ... صبا فحقك أن تموت وتعذرا
قل للذين تقدموا قبلى ومن ... بعدى ومن أضحى لأشجانى يرى
عنى خذوا وبى اقتدوا ولى اسمعوا ... وتحدثوا بصبابتى بين الورى
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر أرق من النسيم إذا سرى
وأباح طرفى نظرة أملتها ... فغدوت معروفاً وكنت منكرا
فدهشت بين جماله وجلاله ... وغدا لسان الحال عنى مخبرا
فأدر لحاظك فى محاسن وجهه ... تلق جميع الحسن فيه مصورا
لو أن كل الحسن يكمل صورة ... ورآه كان مهللا ومكبرا

وعمر بن الفارض أيضا هو الذى يقول :

نسخت بحبى آية العشق من قلبى ... فأهل الهوى جندى وحكمى على الكل

وكل فتى يهوى فإنى إمامه ... وإنى برىء من فتى سامح العذل
ولى فى الهوى علم تجل صفاته ... ومن لم يفقه الهوى فهو فى جهل

وهو القائل أيضا :

كل من حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا
يحشر العاشقون تحت لوائى ... وجميع الملاح تحت لواكا

وحذر كثير من الصوفية فى السالك من الانطلاق فى المحبة مع هواه كما حذروه من إساءة الأدب :

ذلك أن المحب لابد أن يعرف حدوده مع محبوبه فلا يتعداها ، ولابد أن يرضى عنه ، فلا يطلب منه دوام الوصلة ، لأن طلبه ذلك يعنى أنه لا يزال واقفاً مع حظ نفسه ، والصوفى على التحقيق هو القاهر لنفسه ولحظوظها ، فهو فى مقام المحبة يرضى بالجفاء كما يرضى بالوصال ، يقول يحى بن معاذ فى هذا المعنى الذى أشرنا إليه : « حقيقة المحبة مالا ينقص بالجفاء » ويقول أيضاً : « ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده » .

ولذلك كان مقام المحبة من شأن الكمل الذين لا يخشون على أنفسهم لأنهم جاهدوها وتخلصوا من دواعيها ، ولا أدل على ذلك من هذه الرواية : كان بعض الصوفية عند ذى النون المصرى فتذكروا المحبة فقال ذو النون المصرى لهم : كفوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسى ... ء إذا تأله والحزن
والحب يجمل بالتقى ... وبالنقى من الدرن

وقد كان الشاذلية من الصوفية يفضلون مقام الرضا على مقام المحبة للأسباب التى ذكرناها ، فالمحبة عند ابن عطاء الله السكندرى مثلا ، وهو من أئمة الشاذلية ، من أجل مقامات اليقين ولكنه لا يعتبرها أكمل المقامات التى يتحقق بها السالك فى طريقه إلى الله إذ يفضل عليها مقام الرضا ، وذلك لأن الراضى متجرد عن حظوظ نفسه وعن طلب هذه الحظوظ لها وتستوى عنده جميع الأحوال الواردة عليه من الوصل والقطع أو القرب والبعد لرضاه عن الله فى جميعها ، ولا كذلك المحب فهو يريد دوام الوصلة وشهود محبوبه ، فهو مع ما يريد لنفسه ، وبذلك يكون مقامه دون مقام الرضا ، وفى هذا يقول ابن عطاء الله للسالك : « إعلم أن المحبة هى من أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله أيهما أتم مقام المحبة أم مقام الرضا ،

وإن كان الذى نقول به أن مقام الرضا أتم لأن المحبة ربما حكم سلطانها على المحب وقوى عليه وجود الشغف فأداه ذلك إلى طلب مالا يليق بمقامه ، ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب ، والراضى عن الله راض عنه أشهده أم حجبه ! . المحب يحب دوام الوصلة والراضى عن الله راض عنه وصله أم قطعه . ليس هو مع ما يريد لنفسه بل إنما هو مع ما يريد الله له ، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب ، والراضى لا طلب له ، ولنا فى هذا المعنى شعر :

وكنت قديما أطلب الوصل منهم ∴ فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلب له ∴ فإن قربوا فضل وإن بعدوا عدل
وإن ظهروا لم يظهروا غير وصفهم ∴ وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وابن عطاء الله حين يجعل مقام الرضا أكمل من مقام المحبة يخالف الغزالى الذى يجعل المحبة أكمل المقامات وأعلاها شأناً ويعتبر الرضا مجرد ثمرة من ثمراتها على نحو ما يستفاد من قوله فى الإحياء : « . . المحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع مع توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها » .

وتفضيل ابن عطاء الله لمقام الرضا على مقام المحبه ليس إلا نتيجة لازمة عن فكرته الموجهة لمذهبه الصوفى ونعنى بها اسقاط الإرادة والتدبير (بمعنى عدم التفكير المتواصل فيما ستئول إليه الأمور فى المستقبل بشكل يؤرق النفس ويشغلها عن العمل المثمر) . فهو يرى أن مقام الرضا الذى يتحقق فيه السالك بالرضا عن الله فى جميع أحكامه إيماناً منه بالقدر وبما يستتبعه هذا من إسقاط الإرادة والتدبير يكون أكمل من مقام المحبة الذى يكون فيه السالك واقفاً مع ما يريد لنفسه من الوصلة بالله أو غيرها من الحظوظ ، ولهذا نجده يشير أيضا إلى أن من أخص معانى المحبة أن يكون المحب متحررا عن طلب الأعواض أو الحظوظ لأن هذا مظهر إرادته لنفسه وهو قبيح منه فى السلوك بالقياس إلى ما ينبغى عليه من أن يكون مسقطاً لإرادته وحظوظها على الدوام، وإلى هذا الإشارة بقوله فى حكمة من حكمه المقترنة بالعمق والنفاذ :

« ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضاً أو يطلب منه غرضاً ، فإن المحب من يبذل لك ، ليس من المحب من تبذل له ! » أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

رئيس الجمعية الإسلامية ببريطانيا يقول :

١) الطرق الصوفية ، هى نواة الوحدة الإسلامية .

٢) التصوف هو الذى شكل الشخصية الإسلامية .

٣) فى حديقة هايد بارك بلندن منبر صوفى .

٤) الجامعات الأوربية تدرس التصوف وتؤمن بأنه رسالة الغد .

استقبلت دار المشيخة العامة للطرق الصوفية الدكتور محمد مكين أحد كبار رجال الفكر الإسلامى فى « سيلان » ورئيس الجمعية الإسلامية بجامعة لندن ، وقد طار سيادته من لندن إلى القاهرة ليقابل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ليستعين بسماحته على إعداد رسالته التى سيقدمها إلى جامعة لندن عن الطريقة الشاذلية وأثرها فى تطوير المجتمع الإسلامى وعاداته ، ومكانتها من القيادات الإسلامية التى كافحت الاستعمار فى الشمال الأفريقى .

وقد استقبله سماحته شاكراً له زيارته واهتمامه بالدراسات الإسلامية الصوفية . وجعلها جزءاً من التراث الفكرى العالمى الذى تعنى به الجامعات الكبرى .

وفى ندوة علمية صوفية مباركة ترقرق الحديث وتشعب حول التصوف ورسالته ونهضته ، وما يستطيع أن يقدم للنهضة العربية من أفق مثالى ، وخلق إيمانى ، وزاد فكرى .

ثم أدلى سيادته الينا بالحديث القيم التالى ، رداً على الأسئلة التى وجهت إليه من تحرير المجلة :

لماذا اخترتم لرسالتكم الطريقة الشاذلية بالذات ؟

لقد كونت لنفسى منهجاً فى دراسة التاريخ الإسلامى ، وقوام هذا المنهج ،

إننا نستطيع أن ندرك انتفاضات الشعوب الإسلامية ، وانفعالاتها التاريخية ، وعاداتها وتقاليدها وروحها ، عن طريق دراستنا للتصوف .

إننا يجب أن نصور التاريخ ، تصويراً صوفياً حتى نفهم نفسية الشعوب ، وخطوط حياتها العريضة .

ولقد لعبت الطريقة الشاذلية دوراً إيجابياً حاسماً فى تاريخ الشمال الأفريقى . فشكلت عاداته وأخلاقه ، وشئون حياته ، ولعبت دورها الكبير أيضاً ، فى الانتفاضات القومية ، ضد الغزو الفكرى والحربى لهذه المنطقة .

لهذا قصدت أن أدرس البيئة الصوفية ، وأن أؤرخ لهذه الشعوب العربية ، عن طريق دراستى للطريقة الشاذلية .

ما هى الطرق الصوفية فى سيلان ، وما هى مكانتها ؟

لقد انتشر الإسلام فى آسيا عن طريق التصوف ، ولهذا انطبعت الحياة العامة فى تلك البلاد بطابعه .

وفى سيلان مثلا كل مسلم لابد وأن ينتسب إلى طريق صوفى ، وفى كل بلد من سيلان ، زاوية صوفية ، وهناك فى العاصمة زاوية تسمى — أم الزوايا — من خمس طوابق ، وهى مركز القيادة الروحية الصوفية .

والأولاد هناك يتربون تربية صوفية فيذهبون إلى الزوايا كل صباح .

وفى سيلان طرق صوفية متعدده ، أشهرها الشاذلية والقادرية والعلوية .

هل يوجد عرب فى سيلان ، وما مقام المسلمين هناك ؟

المسلمون فى سيلان ينتسبون إلى أصلين كبيرين ، أصل عربى وقد قدموا من حضرموت واليمن ، وتكتب لغتهم بالعربية .

والفريق الثانى وفد إلينا من الملايو ، والمسلمون فى سيلان جميعاً شافعية ، ولهم مكانتهم الكبرى ، فى حياة البلاد ونهضتها ، وهم جميعاً يتطلعون إلى العالم العربى عامة ، والجمهورية العربية خاصة ، كمركز لقيادتهم الروحية والفكرية .

ما هى رسالة الجمعية الإسلامية بجامعة لندن ؟

كون هذه الجمعية الطلبة المسلمون فى جامعات بريطانيا ، ويبلغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف طالب ، من شتى بقاع العالم الإسلامى .

وهدف هذه الجمعية ، رعاية الطلبة المسلمين والعناية بهم روحا ومادة ، وتزويدهم بحقائق دينهم .

وأحب أن أقول : إن للتصوف بين أعضاء هذه الجمعية المقام الأكبر ، فقد اعتصموا بأخلاقه ، حيال عالم الغرب المادى .

وفى بريطانيا جماعة تسمى « جماعة الباحثين » وهم صوفية ، ويصدرون مجلة للدراسات الصوفية .

هل فعلت الجمعية شيئاً لتعريف أوربا بالإسلام ؟

فى أوربا رغبة شديدة لفهم الإسلام ، وفى لندن مثلا فى — هايد بارك — تعقد ندوات صوفية ، وهناك منبر إسلامى صوفى دائم يتكلم من فوقه مسلم صوفى بريطانى ، وينادى فى هذا المحاضر بأن مشاكل العالم لا تحل إلا بواسطة الإسلام ، ويحضره جمع كبير من الأوربيين .

وأوربا فى حاجة إلى أن تعرف الإسلام معرفة صحيحة ، ولو تيسرت لها هذه المعرفة ، لتغير وجه أوربا وتاريخها وعقائدها .

ولكن المسلمين لا يحسنون الدعوة لدينهم ، ولا يفهمون الأسلوب الذى يستهوى أوربا .

فمثلا أوربا تهتم بحرية الفرد وتقدسها ، ويظنون وهم على خطأ ، أن الإسلام يهدرها ، ولا يعترف بها ، فلو رفعنا عن أعينهم هذه الغشاوة ، لأثمرت الدعوة الإسلامية ثمراً طيباً .

إن أحد عمداء الجامعات فى بريطانيا ، ألقى محاضرة قال فيها : « إنه يجد حرية الفرد الكاملة ، فى التصوف الإسلامى ، كما يجد فيه حرية التفكير ، والانسانية العالمية »

وفى اليوم التالى ، كانت صفوة من الأساتذة والطلاب يطلبون كتب التصوف الإسلامى ويعكفون على دراستها

هل يدرس التصوف الإسلامى فى جامعات أوربا ؟

يدرس فى أكسفورد ، وكمبردج ، وجامعات أوربا كافة ، كما أنه المادة الرئيسية فى كلية الدراسات الشرقية والافريقية بلندن .

وإنى لأرجو أن تهتم الجامعات العربية والاسلامية بدراسة التصوف ، بل يجب أن يدرس أيضاً فى جميع المعاهد والمدارس .

فثقافة الإسلام الحقيقية ثقافة صوفية ، وفى التصوف فضائل الاسلام كافة .

ماهى رسالة التصوف ، فى العصر الحاضر ؟

أحب أن أقول : إن التصوف يجب أن يفهم أولا على حقائقه العليا ، وأن يجرد من كل دخيل غريب فيه ، حتى يتبلور فى عقول الناس كمنهج تربوى وأخلاقى وثقافى ، وكقوة بانية للحضارة .

وإن من أخطر ما أصاب التصوف أن بعض الباحثين يكتبون عن التصوف ويدرسونه ، وهم لا يؤمنون به ، إذ لابد من الايمان أولا .

فإذا تم هذا ، فالصوفى ، أقدر الناس على حمل رسالة الاسلام ، وأقدر الناس على الدعوة إليه .

والتصوف هو نواة الوحدة الاسلامية ، فالطرق الصوفية توجد فى العالم كافة ، ففى سيلان مثلا ، الطريقة الشاذلية ، وتجدها فى مصر والسودان والمغرب والهند وأندونسيا وهكذا .

فلو عقدنا ندوات ، أو مؤتمرات صوفية عالمية لاستطعنا أن نوجد روابط قوية بين البلاد الاسلامية .

وفى هذه المؤتمرات يمكن أن نحدد المنهج الاسلامى ، ونضع الهيكل الثقافى للنهضة والقاهرة هى مركز الاشعاع للعالم الاسلامى ، وإليها تتجه الأنظار ، وعليها تعقد الآمال .

وسوف أقترح إن شاء الله فى مؤتمر الجمعيات الاسلامية ، عقد مؤتمر عالمى صوفى ، كما سأقترح أن تكون القاهرة هى مقره الدائم ..

مولد العارف القطب

الإمام أحمد الرفاعى

تحتفل مشيخة السادة الرفاعية بمولد القطب الإمام السيد أحمد الرفاعى المؤسس الأول للطريقة الرفاعية .

ويبدأ الاحتفال فى مساء يوم الجمعة الموافق ٤ ديسمبر عام ١٩٥٩ ويستمر أسبوعاً حيث يحتفل بالليلة الختامية فى مساء يوم ١١ ديسمبر .

وستقيم مشيخة السادة الرفاعية ، مع حفلات الذكر والبر بالفقراء ، ندوات علمية صوفية وقد تلقينا من الأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى بهذه المناسبة الكلمة القيمة التالية ، عن القطب الرفاعى . وأخلاقه ، ومجاهداته وطريقته .

صفاء القلب عند الإمام الرفاعى

بلغ الإمام الرفاعى رضى الله عنه مقاماً لا تدركه إلا عقول من اصطفاهم الله من أمثاله . . فالامام من الأقطاب المعدودين ومن خلاصة أخيار هذه الأمة ، وبذلك فهو ولى الأولياء ومن المقدمين بين السابقين .

ولا عجب فقد أفاض الله عليه من نعمه فوهبه نفساً شديدة الصفاء والنقاء وقلباً كامل الطهارة ، ثم إنه أقبل على الله بجهد وجد . وجاهد نفسه بالإذلال والتأديب حتى أماتها ، وبذلك صار عبداً نقياً كملت طهارته وتقدس سره ، وصار بين الناس قدوة ومثالا ، فهو على أتم الأدب مع ربه ومع الناس وسائر المخلوقات .

جوهر خالص نقى من كل شائبة

وحب شديد وصفاء لكل شىء .

وذل إلى الله وانكسار .

وأدب جم مع الله والمخلوقات ، ذلك هو أمامنا الكبير رضى الله عنه وأرضاه .

كان رضى الله عنه أشد الناس تمسكا بسنة الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه . وكان المثل الحى بين الناس لأخلاق الرسول وصفاته وذلك لشدة تمسكه

بدقائق السنة وآدابها ، ولشدة أخذه نفسه بامتثال ماعرف عن حضرة الرسول الكريم

وكان جميل الوجه والخلقة ، حلو النفس والخلق ، صافى المظهر والمخبر ، بسيطاً بعيداً عن التكلف والتعمل .

وقد كان قلبه الكبير عامراً بالحب المجرد لله . وفى محبته لله أحب كل شىء . والمحبة فى الله تكون شديدة قوية جارفة ، إذ هى تصدر عن قلب قد خلا تمام الخلو من الشوائب ، وخلص من أصل الداء وهو الإعجاب بالنفس والحب لها .

وفى ذلك كان أمامنا الرفاعى صادق المحبة شديد العاطفة لأن قلبه كان خالياً تماما من الشوائب ، فلم يجد الحب إلى نفسه حائلا .

لم يخف الرفاعى على نفسه من أن تؤذيه الأفاعى والوحوش . فأحبها وأقبل عليها ، فأحبته وألفته وخضعت له . وببركة هذا الحب وبقوته سرى سره فى أبناء طريقته فأخضعوا لهم الهوام والوحوش فيكفى أن يتمثل الواحد منهم الإمام الكبير فى قلبه حتى يتسلط عليها وتستكين له ،

ولم تكن رقة قلب الرفاعى تجعله يطيق رؤية اليتيم أو سماع صياح الطفل وبكائه ، فكان يئن ويتوجع حتى لكأن أوصاله تتقطع لصيحة الطفل ويتفتت قلبه لبكائه وكأنما اهتزت السماء .

وكان كما بينا يدأب على رعاية الحيوان . ويدأب على خدمة الأرامل واليتامى وحمل الماء إليهن وأداء ما يحتجنه والسهر على راحتهن .

وأن من يتدبر أقوال الإمام يجد فيها أسمى المعانى فى صفاء القلب ونقائه . .

فقد قال رضى الله عنه « لا يحصل صفاء الصدر حتى لا يبقى فى القلب شىء من الخبث والبغض لأحد من المؤمنين ، فعند ذلك تأنس به الطيور والوحوش ولا تنفر منه » .

وقال أيضاً : « الأنس بالله لا يكون إلا لعبد قد كملت طهارته » .

ومن أقواله أيضا « أن القلب إذا انجلى من محبة الدنيا وشهواتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس . وإذا صدأ قلب الفقير حدثه بأباطيل يغيب معها رشد الرجل وعقله » .

وقال « جمال القلب بالخوف وجمال العقل بالفكر وجمال الروح بالشكر وجمال اللسان بالصمت وجمال الوجه بالعبادة وجمال النية بترك الخواطر وجمال الفؤاد بترك الحسد وجمال النفس بالمخالفة وجمال السر بالصبر وجمال الحال بالاستقامة وجمال السير بالتسليم وجمال الخدمة بالأدب وجمال الكلام بالصدق وجمال الطريق بالشرع وجمال الكل بتوفيق الله » .

ولذلك كانت عناية الشيخ بالقلب وتنقيته أصلا من أصول الطريق الرفاعى الكريم . فقد وردت عن أمامنا الكريم أقوال كثيرة فى تربية القلب والبعد به عن أسباب الفتون والرياء .

فقد قال الإمام رضى الله عنه « رأس مالك قلبك ووقتك . فإن شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت وقتك فيما لا يعنيك ، فمتى يربح من ضيع رأس ماله ؟

وقال « إذا كانت نفسك غير ناظرة إلى قلبها فأدبها بمجالسة الحكماء » . و « أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها وأشد منه طلب العوض عن العمل » و « لا تكن كعبد السوء يؤدى الخدمة وينظر إلى الجزاء » . وقوله « من لم يحسن رعاية نفسه أسرع إلى الهلاك » وقد قال بعض الحكماء « ركون النفس إلى المدح أشد عليها من المعاصى » .

ومن حكمه « إياك والاشتغال بما لا يعنيك وارجع بنفسك عن طريق الغفلة وادخل من باب اليقظة وقف بميدان الذل والانكسار واخرج من مقام العظمة والاستكبار . وإياك والحسد فإنه أم الخطايا . لأن الشيطان لما حسد آدم وتكبر عليه وأبى أن يسجد له وكذب عليه حين حلف له وقواه إنى لكما لمن الناصحين . طرد من رحمة الله تعالى فالكذب والكبر والحسد سبب طرد العبد من باب الرب وأقطع نفسك إلى الله . وأعلم أنك محاسب . فإذا تحققت لن ذلك ما كذبت واغضض طرفك عن النظر إلى أعراض الناس ، فإنك كما تدين تدان ، وكما أن لك عين فلغيرك عيون وأمسك لسانك عن الخلق فإن للخلق ألسنا » .

مصطفى كمال وصفى الرفاعى

« فقيد العروبة والتصوف العارف بالله الأستاذ السيد كامل يس ،
مدير عام مصلحة الميكانيكا والكهرباء وشيخ الطريقة الرفاعية السابق »

« الأستاذ السيد محمود كامل يس شيخ
السادة الرفاعية »

« الأستاذ السيد أحمد كامل يس وهو
فى طليعة الموكب الرفاعي الكبير الذى يسير
فى كل عام بمناسبة مولد القطب الرفاعي »

أخبار صوفية

مولد العارف بالله السيد ابراهيم الدسوقى

● شهد سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية الليلة الختامية لمولد العارف بالله السيد إبراهيم الدسوقى وبصحبته الأساتذة السيد ميرغنى الإدريسى ، وطه عبد الباقى سرور . ومحمود الكولى ، وقد طاف سماحته بالسرادقات المقامة فى ساحة المولد . موجها وناصحا ومشرفا على تنفيذ التعليمات المتعلقة بجلال الذكرى ، وكرامة التصوف والصوفية .

● تدرس المشيخة العامة للطرق الصوفية ، فكرة إقامة مؤتمر صوفى عالمى يلتقى فيه كبار رجال المعرفة الصوفية من سائر أنحاء العالم توثيقا لصلاتهم وتدعيما لنهضتهم .

● أعدت الإذاعة برنامجاً عن سلطان العاشقين شرف الدين عمر بن الفارض كتبه الأستاذان الدكتور محمد مصطفى حلمى والسيد حنفى ، وسيذاع هذا البرنامج الصوفى فى البرنامج الثانى خلال شهر يناير القادم .

● أصدر سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية قراراً بتعيين السيد الحاج عبد العليم محمد عبد الحميد نور الدين وكيلا للمشيخة العامة عن مركز وبندر « دشنا » .

● كما أصدر سماحته قراراً بتعيين السيد حسين محمد ابراهيم طلبه وكيلا للمشيخة العامة عن مركز بنى سويف .

● وجه الأستاذ السيد إبراهيم محمد حماد مخلوف وكيل المشيخة العامة بالإسكندرية الدعوة إلى اجتماع عام للسادة نواب الطرق الصوفية بالإسكندرية وضواحيها للنظر فى الشئون الصوفية ، وبحث الوسائل التى تؤدى إلى النهوض بها مع ترتيب اجتماعات دورية ثقافية تعاونية لأبناء الطرق .

لجنة تعديل اللائحة الصوفية

● اجتمعت لجنة تعديل اللائحة الصوفية برياسة سماحة السيد محمد محمود علوان ، بدار المشيخة العامة فى مساء يوم الثلاثاء أول ديسمبر ١٩٥٩

وقد قطعت اللجنة شوطا كبيراً فى مهمتها التى تستهدف وضع نظام يكفل التطور والنهوض بالطرق الصوفية إلى مستواها التاريخى ورسالتها العالمية .

زيوت التعاون دائما فى المقدمة للخبرة السائقة

الجمعية التعاونية للبترول

الهيئة الزراعية المصرية
ص. ب: ٦٣ القاهرة

بيان هـــام :

لكى تطمئن على محصولك
يجب صيانته من الآفات

* * *

أرضك الجديدة المستصلحة
هل حللت تربتها . . . ؟
ودرست تسميدها . . . ؟

* * *

استشر
الهيئة الزراعيـــة المصرية

* * *

الفنيون بالهيئة على استعداد
لإرشـــاد الزراع فى كل
ما يعن لهم